د. بشير العتري

# لم يمت

## قصائد ومقالات مجهولة

## للشاعر الراحل علي الرقيعي



منشورات
المؤسسة العامة للثقافة

# لم يمت

د. بشير العتري

# لم يمت



## قصائد ومقالات مجهولة
## للشاعر الراحل علي الرقيعي

منشورات
المؤسسة العامة للثقافة

□ د. بشير العتري

لـم يـمـت

□ الطبعة الثانية: 1377 من وفاة الرسول ﷺ (2009)

رقم الإيداع المحلي: 293/ 2008 دار الكتب الوطنية بنغازي

رقم الإيداع الدولي: ردمك ISBN 978-9959-25-24-18



**المؤسسة العامة للثقافة**

WWW.gpcc.gov.ly - info@gpcc.gov.ly

**الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى**

# مفتتح صغير
# الشَّاعر الذي لم يَنْحَنِ

أجل لم يمت فهو حيٌّ خالد.

كيف للشاعر أن يموت؟

وكيف للشعر أن ينطفئ سراجه النوراني؟

كيف لوهجه المقدس أن تكف ألسنة لهبه عن مطاردة جيوش الظلام والغيلان والعناكب؟

كيف لدفق الحياة بكل عرامته أن يتوقف؟

كيف لنسغ الكينونة أن يجف في أوصال الحياة وفي رحم الأحياء؟

أجل لم يمت فالشاعر أقوى من الموت وأبقى من الأيام.

ولكن هل كل الشعراء جديرون بأن يكتبوا في لوح الخلود؟

وحده الشاعر الأصيل المنبثق من أتون معاناة الناس والمنصهر في بوتقة أفراحهم وأتراحهم بكل الحب والصدق وصفاء الروح وشفافية الوجدان حي خالد وعصي على لغز الموت.

وحده الشعر الأصيل المجبول من إيقاع الحياة من الأمل والألم من الانكسار والانتصار:

**نعم أنت حي أيا شاعري[1]     طليق تغني نشيد الحياة**

نعم هو حي تنطلق من شبابته المرهفة ووتره المشدود أغاني الحياة وأناشيدها الشجية وتشدو مع صادحات الطير ألحاناً طليقة لا تحبسها الأكفان ولا تحاصرها اللحود ولا يخنقها صموت المقابر الرهيب.

إن الشاعر الحقيقي يمضي مادياً ويخلد معنوياً فغناؤه العبقري ورؤاه وخيالاته وأشجانه ورغابه هي خير بديل لغيابه الفيزيائي وذلك انتصار - بلا شك - له قيمته على الموت، الهاجس الذي حير الإنسان طويلاً وأرقه كثيراً وأثار أسئلته المتعددة حتى حوله إلى موضوعة فلسفية شائكة:

**ولكنه لم يمت يا رفاق...     ولم ينطفيء اللهب العارم**

**ولم تخب جذوة ذاك الشعاع..     ولم يختف النغم الحالم[2]**

انتصر الشاعر ـ إذن ـ ولم يسكت صرير الموت حروفه النابضة بالحياة ولم يطفئ ضرام لهبه وظلت كلماته شعاعاً أبدياً يطرد الظلمة ويحاصر أعداء النور ويسقي النفوس والأرواح بغيث ربيع دائم لا يطاوله الخريف تصوح أنغامه الحالمة ولحونه الثرة.

---

(1) ينظر النص الشعري الثاني «لم يمت».

(2) ينظر النص الشعري السابق.

نشأ الشاعر والأديب الراحل علي محمد الرقيعي عصامياً فذاً، نحت في الصخر طريقاً، اختط برغم الفقر، ورغم صعوبات الدرب، نهجاً وخصوصية تميزه من سواه، وتصنع حضوره العميق في حياتنا الأدبية، والثقافية، في فترة وجيزة لم تتعد العقود الثلاثة إلا بسنتين اثنتين، وبذلك له أن ينتظمه سلك الراحلين في ميعة الصبا، من أمثال طرفة، وأبي تمام، والمتنبي، والشابي، والتجاني يوسف بشير، الذين لا تقاس حياتهم بسني أعمارهم، بل تحسب بما أبدعوه من نتاج شعري متفرد هو أكبر من تلك السنين القليلات، بمعنى أنها تقاس بمدى غوصهم في مجاهل الإبداع، وجوسهم خلال زواياه البكر، وكأن هؤلاء المبدعين في سباق مع الموت ـ الذي لا يرحم ـ وعليهم أن يربحوا السباق، ويختزلوا الزمن ليقولوا أجود ما عندهم في أعوام قليلة.

«علي الرقيعي نموذج من الشعراء الذين استطاعوا بكفاحهم الشخصي أن يبنوا لأنفسهم مكاناً بارزاً بين الشعراء المحدثين الذين كان لهم أثر ملحوظ في القصيدة العربية في ليبيا»[1].

«وعلي الرقيعي أديب يجمع بين الشعر والنثر . . . وهذه خبرة قلما تجتمع في آن واحد في شخصية الشاعر في الأدب الليبي فقد عهدنا الشاعر ناظماً ولم نعهده ناثراً وقلما كانت تجتمع في الشاعر الليبي هاتان الخصلتان معاً في آن واحد»[2].

---

(1) نجم الدين الكيب «مقال عن الرقيعي» جريدة الرائد. 2/ 12/ 1966، ص7.

(2) المرجع السابق، ص.ن.

«وهذه الميزة لها أهميتها خصوصاً بالنسبة للشاعر الحديث الذي واجه ولا يزال يواجه حرباً عدائية مبيتة من قبل أعداء التجديد، وبموته خسر الأدب الليبي شاعراً يعرف كيف يحمي إنتاجه ويذود عنه عداوة الرجعية والمتزمتين»[1].

فقد الشاعر الرقيعي أمه وهو طفل غض لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره وبذلك عرف الحرمان صغيراً وذاق مرارة قسوته وانصهرت روحه في مرجله.

كان الحرمان إكسير حنو دافق يمنحه بغير حدود وحنان غامر ينتظم الناس جميعاً، الناس المغلوبين المقهورين الضعفاء من كل الألوان، من كل الأجناس، أولئك الذين صنعوا وجدانه الرهيف، وضميره الحي، وصوته الجهير، وصدقه الكبير، وثباته على المبدأ.

فمن بين صفوف أكثر هؤلاء فقراً خرج الشاعر.

ومن بين صفوف أكثر هؤلاء معاناة ومقاساة وصبراً شب وترعرع ورأى بأم عينه واقع أبناء شعبه الأليم.

في مدرسة هؤلاء البسطاء المعذبين تعلم أبجدية الرفض والثورة غير القابلة أبداً للتغيير أو التبديل وانبجس هذا الشعر الصدامي الرائع أناشيد جموع المحرومين الأميين الذين منعتهم ظروفهم العسيرة أن يعبروا عن ذوات أنفسهم من أجل افتكاك حقوقهم المغتصبة وإنسانيتهم المهدورة.

---

(1) السابق، ص.ن.

إنه ابن الشعب البار، والفارس الذي لم يلق سلاحه منذ امتطى صهوة أول حرف خطته أنامله، وحتى رمقه الأخير، منافحاً عن الحرية بصوفية نادرة المثال.

لم يضعف يوماً ولم يلن وظل الوفي الذي لا يغير مجراه يفيض خصوبة وعنفواناً في مواسم التصحر وجفاف الأنهار وفي زمن الردة والتولي حيث باع أشباه الفرسان خيولهم للشيطان، وأصواتهم للسلطان، سقوطاً في سراب الملذات والمغانم.

الفارس الذي لم ترهقه المعارك والمغازي، فما آب من معركة حتى وجد نفسه في أوار معركة جديدة، غير مبدد طاقاته في مناوشات هامشية، ومعارك غير واجبة ودعائية.

لكل ما سبق كان الكتاب الأول الذي جمعت فيه نصوصاً مجهولة تركها الشاعر متفرقة في الدوريات بعد موته وهو بعنوان «الليل والسنون المعلونة».

ولكل ذلك يجيء الكتاب الثاني وهو قصائد ومقالات مجهولة للشاعر أسميته «لم يمت» وهو عنوان إحدى قصائد الكتاب ولعل أهميتها تكمن في أنها تعبير عن واحدة من أعقد القضايا الفلسفية التي شغلت الإنسان منذ القدم ـ عامة، وأرّقت المبدع خاصة.

إن قصيدة «لم يمت» مرثية لشاعر نشرت الصحف نبأ وفاته، وتبيّن أنه لم يمت. تناول فيها الرقيعي خلود الشعر والشاعر وكأنه يرثي نفسه كما فعل سلفه مالك بن الريب، أو لعله كان يحس مباغة

الموت وهو في ربيع العمر وعليه أن يقول كلمته في الموت قبل أن يدهمه معلناً انتصار الشاعر على الموت وخلوده أبد الدهر.

ورُبّ سائل يقول: لماذا لم تنشر هذه النصوص مجتمعة في كتاب واحد بدل نشرها في كتابين اثنين؟

وأنا سأجيب بصدق تام عن هذا السؤال المتوقع طرحه مرة بحسن النية وأخرى بسوء الطوية.

لقد كنت ـ كغيري من الباحثين ـ أريد أن يكون لي فضل السبق في عمل يعد إضافة للبحث العلمي.

وكانت الفرصة مواتية في نشر قصائد ومقالات مجهولة للشاعر الراحل علي الرقيعي لتحقيق هذا المبتغى العلمي وهو حق مشروع للباحثين جميعاً ومن ثم نشرت ما استطعت جمعه من تلك القصائد والمقالات التي كان حجمها كافياً لإخراجها في كتاب على الرغم من معرفتي أن هناك عدداً آخر من القصائد والمقالات تركها الشاعر ولم يتضمنها الكتاب الأول وهو المعروف بغزارة نتاجه الشعري والنثري ومساجلاته المتعددة.

ولا أذيع سراً إذا قلت إنني غضضت الطرف عن بعض الأخطاء الطباعية والفنية في الكتاب الأول تحسباً لتسرب فكرة الكتاب إلى غيري وهي أخطاء ـ بلا شك ـ لا تخفى على القارئ الحصيف راجياً أن أصحح هذه الأخطاء في طبعة لاحقة.

وبعد صدرو كتاب «الليل والسنون الملعونة» انكببت مرة

أخرى باحثاً عن قصائد ومقالات مجهولة وقد ازددت خبرة ومعرفة بمظانها وكانت المحصلة الكتاب الثاني «لم يمت» الذي نحن بصدد التقديم له.

وهكذا أشْرُف بجمع جل ما ترك الشاعر الراحل من أعمال إبداعية اختطفته يد المنون قبل أن يجمعها في كتاب.

ليس لدي أي هدف سوى ما ذكرت ولا سبب آخر يعلو الذي بينت حين أصدرت أعمال الشاعر في كتابين لا في كتاب واحد احتراماً للشاعر الذي أبى أن يستغل موهبته الكبيرة من أجل مآرب شخصية في حياته وهو الذي مات عاطلاً عن العمل في وقت كان فيه أصحاب المواهب الكليلة ينعمون بالرفاه ورغد العيش فمن باب أولى ألا يستغل في مماته وكذلك احتراماً لنفسي وللبحث العلمي الذي ينبغي أن يكون منزهاً من أية أطماع.

يضم الكتاب الثاني ثلاثة وعشرين نصاً موزعة بين اثنتي عشرة قصيدة وإحدى عشرة مقالة.

والنصوص منشورة حسب السنوات على النحو التالي:

**أولاً ـ القصائد:**

1 ـ قصيدة واحدة بعنوان: خواطر بجريدة طرابلس الغرب سنة 1954.

2 ـ قصيدة واحدة بعنوان: لم يمت بجريدة طرابلس الغرب سنة 1955م.

3 ـ خمس قصائد على التوالي: ولكن لماذا؟، وأجل أنت حرة، وعندما أراك، ولست أنسى، ورغم الطغيان بجريدة طرابلس الغرب سنة1957م.

4 ـ قصيدة واحدة بعنوان: بعد عام بجريدة طرابلس الغرب سنة 1958م.

5 ـ قصيدة واحدة بعنوان: الحنين النبيل بجريدة طرابلس الغرب سنة 1959م.

6 ـ ثلاث قصائد نشرت بمجلة صوت المربى هي: إني لتبهرني، وحنين، وأحبك.

**ثانياً ـ المقالات:**

1 ـ مقالة واحدة بعنوان: دعوني يا صحابي بجريدة طرابلس الغرب سنة 1954م.

2 ـ مقالة واحدة بعنوان: مسرحة عمر المختار بين الواقع المادي والذهنية البحتة بجريدة طرابلس الغرب سنة 1960م.

3 ـ ست مقالات هي على التوالي: أدب وحب، وأدب وحب، وضرورة الفن لحياتنا، والالتزام والحرية، والخواجة محمد إسماعيل، وأنا هنا يا ابن الحلال، بجريدة طرابلس الغرب سنة 1961م.

4 ـ مقالتان الأولى بعنوان: أحاديث عابرة والثانية بعنوان:

عندما انحنى السور بجريدة الغرب سنة 1965م.

5 ـ المقالة الأخيرة وهي آخر مقالة كتبها الرقيعي ولم يكملها بعنوان: المنتمي بمجلة الرواد سنة 1966م.

والنصوص ـ جملة ـ اتسمت بالرصانة والمعالجة الفنية المتمكنة إلى حد بعيد تبلورت في أثنائها ـ بوضوح شخصية شاعر وكاتب مكتمل الأدوات وصاحب موهبة كبيرة تعي جيداً مسؤولية الحرف ورسالة الأديب التي هي أبعد ما تكون عن الترف والاستعراض.

إن جل هذه النصوص تنطلق من تجارب شعورية عميقة ومواقف مبدأية رسالية جعلت كاتبها بحق ضمير الشعب وصوته الجهير.

وبذلك يكون مجموع نصوص الكتابين خمسة وخمسين نصاً تم إخراجها من طي النسيان ولم يسبق نشرها في كتاب وهي بحاجة إلى دراسة علمية منهجية فنياً وموضوعياً تضع الشاعر علي الرقيعي في مكانه بين معاصريه في بلادنا وفي الوطن العربي وتكشف عن دوره في الشعرية العربية الحديثة ومواطن الإبداع والاتباع في شعره ونثره من خلال إعادة النظر في الأحكام النقدية السابقة الصادرة في غياب هذا العدد من النصوص الخارجة حديثاً من طي المجهول.

ولتسلط كذلك مزيد الأضواء على الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية في ضوء هذه النصوص الجديدة التي تعد بحق

وثائق مهمة تؤرخ لفترة حرجة على جميع المستويات وترصد بعضاً من أهم دقائقها وتفاعلاتها بعمق ومسؤولية وتسهم في رسم أهم ملامحها بكل جدية وإخلاص.

ويقتضي الإنصاف قبل إنهاء هذه الكلمة الصغيرة العَجْلَى أن أسجل كلمة حق فاتني الجهر بها في الكتاب الأول وهي أن الشاعر علي الرقيعي ضرب قليل المثال في الانسجام بين القول والفعل في أدبنا الليبي الحديث على الأقل إن لم يكن في الأدب العربي الحديث عامة.

فما أقل أولئك القابضين على النار والجامعين بين القول والفعل في الأدب العربي.

أولئك الذين عرفوا مسؤولية الحرف وخطورة الكلمة فرفضوا المساومة عليها وبيعها في سوق النخاسة.

لقد آمن علي الرقيعي أن الكلمة سيف حق في وجه الظلم والظالمين وأن كنوز الدنيا لا تساوي كلمة واحدة شريفة ترفض التدجين والتزوير والإلحاق.

ولعل ذلك أهم مفاتيح نصوصه الشعرية والنثرية والعلامة الفارقة التي تميزه من أبناء جيله من الكتاب والأدباء الأمر الذي أعطى لنصوصه طعمها الخاص وحرارتها الدائمة وتوهجها ونضارتها وتغلغها في وجدان المتلقي وتعبيرها عن اعتمالات الإنسان وتوقه الدائم إلى تكسير قيوده والانتصار على مستعبديه أعداء الحياة.

رحم الله علي الرقيعي الشاعر الذي لم ينحن، راجياً أن أكون قد وفقت في جمع شتات جل ما ترك وفاء للشاعر واعترافاً بإبداعه.

**د/ بشير العتري**

**الأستاذ المشارك بجامعة الفاتح**

# أولاً: الشعر

# خواطر

هاجت الذكرى إلى الأوتار يا ناي شجوني
فاعزفي الآهات والنجوى من القلب الحزين
لا تسل ما الشجو؟ ما الشكوى؟ إذا همت جفوني
هاجت الذكرى وللذكرى جموح في سكوني



لهفة خرساء تغريني بأن أشدو طروبا
أن أعب الراح آمالاً وأن أنسى الكروبا
حيرة تهتز في غوري فينهل لهيبا
يلقف الآمال[1] والراح فأحسو الهم كوبا



(1) في جريدة «**يلقف الأمل**» ولعل المناسب ما أثبته في المتن وبه يستقيم الوزن.

خلني يا هم لا تقسُ[1] ففي الذكرى اجتياح

عاصف بالجرح لم يخبُ[2] فلم تشف الجراح

حائر لولاك ما الشكوى؟ أللحزن اكتساح؟

رابض يا هم في قلبي ألم يأن السراح؟



عشت والأوهام من حولي سجوناً أبدية

تزفر الآلام أناتي نشيداً سرمديا

طارق محروم لم أمنح حبيبي[3] طفيا

هامد والسر في وهني فهل يحنو علي؟



ها أنا شيعت أحلامي هباء للسديم

للبلى للصمت في نعش كئيب في وجوم

قد هصرت اليوم من عمري شباباً بالهموم

زهرة قد فاتها الساقي فصارت كالهشيم

---

(1) في الجريدة: «لا تقسو».

(2) في الجريدة «لم يخبو».

(3) في الجريدة «**امنح حبيباي**» وما بعدها لا يعطي معنى والشطرة مختلة عروضياً.

عشت للقبر على الهمس لم أنعم هناء

تنعق الغربان في قفري عويلاً وعواء

أين من يحنو على قلب شهيد البرحاء؟

ينصح الشاكي لِمَ الشكوى؟ لكي يشدو رواء

هاتي[1] يا أحلام من «نجوى» رحيق القلب هاتي

وامنحي أكسير سلواني شفاهاً قانيات

لا ترفي اليوم من حولي طيوفاً هامدات

فالهوى نشوان من «نجوى» رقيق الهينمات



قربي نهديك من صدري ونامي فوق صدري

للروا للحب للرؤيا على أنغام نقري

ضمخي بالطهر أحلامي فوا أحلام عمري

كلها أشباح أوهام تجوب الليل قفري



رتلي في الفجر تسبيحاً إلى حبي الوليد

وامسحي ذا الدمع عن عيني على أمسي الشهيد

---

(1) في الجريدة «هات في بداية الشطرة ونهايتها بدون ياء.

إن تجسي النبض في قلبي تعي وقع النشيد
بالهوى بالسحر ترتيلاً مع لحن الخلود



# لم يمت (*)

### إلى الأستاذ الشاعر: محمد أحمد سالم

نـعـم أنـت حـي أيـا شـاعـري　　طـلـيـق تـغـنـي نـشـيـد الـحـيـاة
وتـشـدو مـع الـطـيـر أمـا هـفـت　　وتـجـلـو الـجـمـال بـديـع رؤاه
وتـبـعـث ألـحـانـك الـصـادحـات　　عـلـى مـزهـر مـسـتـهـام صـداه
وأنـت شـبـاب غـضـيـض الإهـاب　　وقـلـب طـمـوح لأسـمـى مـنـاه

❊ ❊ ❊

أتـمـضـي ولـحـنـك لـمـا يـزل　　رقـيـق الـغـنـا عـبـقـري الـوتـر
ورؤيـا خـيـالـك طـيـف الـروا　　تـحـف بـه فـاتـنـات الـصـور

---

(*) هذه القصيدة كتبها الشاعر رداً على قصيدة صديقه الشاعر المصري محمد أحمد سالم عضو البعثة التعليمية المصرية بطرابلس، التي كذب فيها الشاعر المصري خبر وفاته، وعنوانها: «الرثاء الكاذب» ومطلعها:

**أمات؟ نـعـم مـات هـنـا الـفـتـي　　وصـوح كـالـزهـرة الـذاويـة**

تراجع جريدة طرابلس الغرب 21/ 1/ 1955، ص5.

وفيه تجلت مغانٍ حسان تضوع فيها أريج الزهر
أتمضي ومن سوف يزجى السناء ائتلاق الجمال فيا للقدر



أتمضي وما زلت ظامي الرغاب وعودك غض السنا الغامر
فمن سوف يلهم خفق الشعور حنين الفؤاد أيا شاعري؟
ومن سوف يوحي نداء الشجون إذا ما تصابى هوى خاطري؟
ومن سوف يذكي لهيب الأوار إذا غام ناي الروا الساحر؟



يقولون اللجحود الكبير ذوى واحتواه الردى والعدم
ولم ترثه ببكاء القصيد ولا مض قلبك سوط الألم
ولا الخطب حرَّك فيك الشعور ولا الهول هزّك حين أدلهم
ولكن لماذا؟ أحقاً ذوى أحقاً حوته كهوف السدم



ولكنه لم يمت يا رفاق ولم ينطفى اللهب العارم
ولم تخب جذوة ذاك الشعاع ولم يختف النغم الحالم
بلى لم يلفه ستر الغيوب[1] ولا ضمه القدر الغاشم
فها هو يشدو لسخر الحياة وقد راقه الأمل الباسم

---

(1) صدر هذا البيت مختل عروضياً.

## النص الثالث

# ولكن لماذا؟

تعاتبني فتاة الحياة في شكوى وفي ألم

وقد وأدوا صباها الغض في زنزانة الظلم

وقد صاغوا لها الأغلال خوف العار والتهم

وهاضوا قلبها الطفلي وبالإذلال والنقم



تسائلني ألا أستطيع أن أحيا كما أرغب

ولي تقرير أيامي ولي حق ولي مطلب

تحدجني عيون أبي وتلعنني ولم أذنب

كأني وصمة سوداء في أعراضه تنشب



أتدري؟؟ كيف يا محمود لا تدري بآلامي؟

وفي رجلي هذا الغل يحصي وقع أقدامي

يلوك عواطفي العذرا بميت حنين أحلامي

ويجتر الليالي السود من معسول أيامي



أبى لذَّاتك الشوهاء[1] ما صنعت سوى بؤسي

وطيش رغابك الجسدية المعتوهة الخرس

قضى بوجودي الدامي ولم يخلق سوى يأسي

أسىً في خاطري المفجوع يا أبتي وفي نفسي



وتزفر آهة حَرَّى تجيش بقلبها الكمد

وما بقيت من اللا شيء من أحلامها الهمد

سوى إجهاشه حيرى لغبن مآلها النكد

ودمعات حبيسات بلا صبر بلا جلد



وكم شهقت يشنجها عصي الدمع في جزع

تحدثني عن ابن السيد المترهل البشع

---

(1) في الجريدة: الشهاء.

عن الزوج الذي اختاروا لها في غير ما ورع

وقد أعماهمو[1] الديباج بالحقارة الطمع



ترى محمود هل تدري بمأساتي، بأحزاني؟

بإنسانيتي ديست قداستها بحرماني؟

بإرغامي لما يقضي أبي المتزمت الجاني؟

وكيف أساق من أغلال سجَّان لسجَّان؟



أتنسى؟ كيف يا محمود تنسى وقدة الحب؟

تلظت بالحنين إليك في عيني وفي قلبي؟

وما صرحت ـ من خجلي ـ بشوقي الجامح العذب

وكيف غفلت عن إحساسي اللهفان عن عتبي؟



وجئت أبث للأوراق ظلمك العاتي

أصب شعوري المجروح مصطبغاً بآهاتي

---

(1) في الجريدة: أعماهموا.

وهدبي راعف بالدمع مشلول النداءات
وإجهاش الحنين يموج في دنيا انتفاضاتي



وألهج باسمك المعبود في ترنيمة سكرى
ويشرد في النزوع إليك في ديمومة خضرا
كأنك جانبي تروي غليل حشاشتي الحرَّى
أساقيك العناق الحلو تلثم منى الثغرا



وتجذبني يداك بكل ما في يديك من قوة
ويحضنني دفء نداك غب حكاية حلوة
ونغرق في المدى التياه في صمت وفي نشوة
وأغفو يا لهذا الحلم بالسذاجة الغفوة



ويقتلني السكون الجهم والجدران والغل
وشيء بارد كالموت في الأعماق ينسل
وأفزع للشباب يموت في قلبي وينحل
فلا حب ولا أمل ولا فيء ولا ظل

وكنت أحن يا محمود للماضي لماضينا

وأذكر كيف نضَّرناه أوراداً ونسربنا

وكيف مررت بي وبسمت كيف وقفت لي حينا

فلف الحب في أعطافه البيضا أمانينا



وأذكر كيف حنَّ الشاطئ الغافي للقيانا

ولم نحفل ونحن نجوب كالأحلام دنيانا

ونحن نذوب ملء حكاية نسجت لنجوانا

أتذكر كيف طال السير؟؟ ما أحلى حكايانا



وجئت البيت يفضحني شعور المذنب المجرم

وصوت أبي يلاحقني كوهم قاتل أبكم

يطاردني هنا وهناك فظ الوقع لا يرهم

وأخفى عن أبي وجهي أخاف أخاف أن يعلم



وكم يا زارع الأزهار في قلبي تصورت

رؤى المستقبل المغموس في الأحلام كم تهت

هنا في غرفتي أقراك سطراً فيه تمتمت
بأعذب غنوة خضرا تبيت معي إذا نمت



وتطفر غنوتي الخضراء فيروزية اللحن
على شفتي تحوك
الليل خيطاً أشقر اللون
وتحضن دمعتي تنساب في نفسي وفي أذني:
ترى أنساك؟ لن أنساك رغم الشك والظن



ومرَّ الشهر كالكابوس جهماً كالح الذكرى
فما غازلتني لا صغت لي حباً ولا شعراً
وخلت بأنني ما كنت ذكرياتك العذرا
وكم أبكي وكم اشتاق هل تدري؟ سل الشهرا



أتنسى والأماني البيض من يشدو بنجواها؟
وأمسية الهوى والحب من ينظم حكاياها؟
وذكرى البسمة الأولى أتطمسها أتنساها

وتقسو[1] آه ما أحلاك لو تقسو وترعاها



ومرت أشهر أخرى ولم ألقاك لم تأت

كأنك لم تقل لي أنت كل سعادتي أنت

وكم قضيت طول اليوم أحضن شرفة البيت

لعلك يا عنيد القلب تأتي آه لم تأت



وما ذنبي؟ ألم أطعمك في قلبي الهوى العذبا

ألم تشعر بنبضي اللاهث المشتاق ملتهبا

ألم أعبدك في صحوى وفي إغفاءتي حبا

أكان هواى يا محمود المتعجرف الذنبا[2]



وما انفكَّ الحنين لظى وما انفكت نداءاتي

دعاء ضارع الآهات لو تدري[3] بآهاتي

وظل خطابك الوردي تعزيتي وعلاتي

---

(1) في الجريدة: تقسوا.

(2) في هذه الشطرة اختلال وزني.

(3) الصحيح هو «لو تدرين».

أتأتي؟ هل ترى تشتاق؟ يا لفؤادك العاتي



وكنت تزورني كالطير مشتاقاً لأُنثاه

تسقسق لي أغاني الحب تشرد بي لدنياه

خفيفاً مترعاً كالظل في أحلى عشاياه

أجافي قيس؟ يا قيسي ألم يكلف بليلاه



لماذا والسؤال الحائر القاسي يلاحقني؟

لماذا غصة خرساء في صدري تدمرني؟

ترى محمود كيف تطيق هذا الوهم ينهشني

وتدفع بي لذاك المقرف المغرور يدهسني



# أجل أنت حرة [1]

قرأتك شوقاً جموح التوقد ثرَّ الحياة مريدا

ولحناً يموج بصدرك حلواً

يسيل مني ويقطر شجواً

عنيفاً كأحلامنا كالحياة وأقوى

من الغل من كافرات الزوايا التي حجبتك سنينا

---

(1) كتب الشاعر هذه القصيدة رداً على محاولة شعرية نشرتها جريدة طرابلس الغرب بتايخ 8/ 10/ 1957 للآنسة فتوح مجيد التكريتي بعنوان: «هذا عمر»؟

والمحاولة على تواضعها شكلاً ومضموناً صرخة عالية ضد واقع المرأة العربية المأساوي وجدت صداها البالغ لدى الشاعر وحركت في نفسه التعاطف الحميم إزاء قضية الحرية عامة وحرية المرأة على وجه الخصوص.

وقصيدة الرقيعي جسدت جانباً مهماً ورائعاً انطوت عليه نفسه هو تواضع الفنان الحق بعيداً عن التعالي والادعاء الذي يحلو لبعضهم ممارسته على المبتدئين.

كعنف نداءاتنا تتحدى قيود الغباء

كقلبك يزخر فيه الحنين لجدول ضوء

لغمرة دفء

لإشراقة تتنسم سحر الحياة

قرأتك حرفاً حزين النداء كأحزان نفسي

كعمري المضيع

فعانقت فيك ربيع الشباب وقدست فيك التطلع

لدنيا يلذ

لك الغد فيها دفوق الهناءات يبدو

سُدًى يا انطلاق الأماني سدى تمحينا

سدى يخنق الكبت فينا الحنينا

لأنك رغم الدياجي

ستبقين تستقبلين الضياء الذي تنشدينا

سيشرب صدرك دفء الحياة سينمو

ستلثمه الشمس سوف تصلي على وجنتيك

ستغدين حرة

سدى يعرف اليأس درباً إليك

لأنك ثورة جيل إرادة بعث وقوة خلق

لأنك فينا حرارة هذا الشباب وصرة شوق

أجل أنت للحب مثلي غداً ستوشوش فرحة

على أثر لمحة

لقلبك تبرق فيه وتغفو

رؤى حلم دافئ وابتسامة

يهل عليك غمامة

بإبريق دغدغة حلوة الأمنيات

بكلمة حب تفاصيلها لا تقال

بكل الذي ترغبين

بكل الذي تنشدين

غداً يتلاشى على ثغرك الحلو هذا الذبول

وهذا المحول

ويندلق الصفو في وجنتيك

وتغدين رغم التقاليد رغم الغباءات حرة



# عندما أراك

لأجل عينك الشهدية الحنون

لأجل أن أراك في وشاحك الملائكي تخطرين

رشيقة وتقبلين في وداعة الحمام

وديعتي كعامل يعود مثقل الحنين

من بعد طول كدح مثقل الحنين

لطفله مع المساء يحمل الحياة

والنور وابتسامة وصرتي حنان من قلبه الكبير

لأجل رنوة إليك تغسل الأحزان

عن خاطري وتزرع الصباح أمنيات

حبيبتي صليت في تبتل القديس

صليت كي يصونك الإله

له أنا وديعتي أعج بالدعاء

لأجل أن يظل عمرنا أغاني

نصوغها لمجد شعبنا العظيم

لموسم الزيتون والنخيل في هضاب

بلادنا الحبيبة السمراء في شعاب

حقولنا الرحيمة اللقاء في سهول

جبالنا الوضاء

للفل للأقاح

لباقتين من ورود أرضنا الرؤوم

للمنجل الرحيم

في زمن الحصاد عمرنا أغان

لفرحة الفلاح في محافل الربيع

لموسم الزهور والشباب والحنين

للفرح السكيب في قلوب الأوفياء

وصانعي الحياة في بلادنا السمراء

والحب والزهور

لثورة النضال تبدع السلام

والشوق والغرام

في قلب عاشقين أسمرين وادعين

وديعتي وطيبتي يحلمان بالصغار

بالنور يغمر الحياة فرحة ويطلع النهار

ويدفق الجمال في براعم الأزهار

كحبنا العظيم

لشعبنا العظيم



# لست أنسى

آه يا فجر شبابي كيف أنسى؟

ذكريات لم تزل تطفح أنسا

يوم وشوشت غرامي لك همسا

يوم نادى وجهك الضاحك قلبي فالتقينا

فرحة تشرح للشط خفايا جانحينا

تسكب البوح وأحلام الهوى في شفتينا

يا حبيبي خل عنك اللوم أني لست أنسى



أنت يا حلم غرامي الأول

بهجة الدنيا ودنيا أملي

أنت قبل البدء قبل الأزل

غنوة رددها القلب حنيناً وهياما

وتعاطي حسنها الساحر شوقاً وغراماً

فإلام يا حبيب العمر لا تدري إلام

إنني أعشق في عينيك ذاتي أفأنسى؟



زهرة العمر ويا أُنس الحياة

كيف أنساك وأنسى ذكرياتي؟

ولدى عينيك أحلى صبواتي

يا حبيبي أنا من سحرك ظمآن أرتويت

شفني الحب وأغواني ونادى فمشيت

أسفح الخطو ارتعاشات وفي الحب أمحيت

آه يا فاتنة الدنيا تراني كيف أنسى؟



# رغم الطغيان

أخي العربي فك الأسر قطع قيدك الأسود
ومزق قبضة السجان لا تخضع ولا تسجد
وناضل للمصير الحر كافح بطشه السيد
فهذي يدي أمد إليك يضمنا الموعد



أجل لن يمكث المستعمر المسعور في بلدي
ولن أرضاه يرسم لي ظلام مصيري النكد
ولن يبقى ولن أرضاه يوثق ساعدي ويدي
وفي شعبي انتفاض قوي خلقت لفجر غدي[1]



أخي يا ثورة الأوراس يا أحلامنا الخضرا

(1) الشطرة مختلة عروضيًا.

سنسلكه طريق الليل سوف نعيده فجرا

سنسلكه برغم الظلم يوم الوثبة الكبرى

سنسلكه وتضحي الأرض أرضي مرة أخرى



أخي من نحن؟ تعرفنا الدماء الحمر أحرار

جراحات بلا ألم بلا دمع وتزآر

ويعرفنا دوي المدفع الرشاش والنار

أخي لن يرجع الثوار إن لم يشتف الثار



فرنسا ليس يرهبنا ظلام السجن والغل

فصبي نقمة التنكيل فوق جلودنا تغلي

فلن نخشى حبال الشنق والتعذيب والويل

فقد ثرنا أجل ثرنا على الطغيان والذل

أجل ثرنا تقحمنا أزيز النار والمدفع

فما أروع خط النار عبر الليل ما أروع

هنا يا لعنة التاريخ منا العين لا تدمع

فهاتي واحشدي ما شئت لن نخشى ولن نرجع

فرنسا يا ضمير الوغد لن نبكي لقتلانا

ولن نبكي شباباً ريق الأحلام ريانا
ولن نبكي حبيبات خلقن لهمس نجوانا
فدى الحرية الحمرا فرنسا كل صرعانا



فرنسا نحن إن لم نقلب التاريخ لا كُنَّا
بطولات على الأوراس تحكى للدُّنا عَنَّا
غداً نأتيه موطننا سنهتف في هوى عدنا
أجل يا لعنة الأجيال سوف نقولها : عدنا



سنرجع رغم أنف الظلم للغيطان والحقل
ويحضننا شذى النسرين والزيتون والنخل
ونجمات الصباح التسع أحبابي ستهتف لي
ومن أجلي سيخضل الروا والحب من أجلي



# بعد عام

لم نعترف يوماً بأنَّا أغبياء

سخفاء نبنى فوق أعمدة الخيال

قصراً وشيئاً في مدى اللا شيء نبني في ليال

أوهامنا ندعوه سخفاً لا يقال!!

ونظل نجتر التعابير المنمقة العذاب

نحكي ونصف في انفعال

ونصب في كلماتنا الجوفاء ثورتنا على هذي القيود

ويمر عام

والليل والأوهام ما زالت تطاردنا ويمر عام

عبثاً وما زلنا نعيد

نفس الحماسات الهزيلة في انفعال

من دونما جدوى وننكر أننا جثث تردت في ظلام

أيامنا السوداء موتى في قبور

هذي التفاهات الحقيرة للضياع

عام يمر وأنت لا تدرين ما معنى الشقاء

بكماء يطحنها الفراغ ولا تعين

ألم التمرد والحنين

ألم النداء الصارخ الهدَّار يحتضن الحياة

لربيع جبل ثائر لا تدركين

ألم التطلع للضياء



عام وبعض العام أخيلة وذكرى وانفعال

محض انفعال

محض انتظار تافه السلوى كأحلام العبيد

ولهات حرف ما تزال

أهاته الثكلى تصور ما تزال

حلماً «وشيئاً» في مدى اللا شيء دنيا من خيال

من أمنيات فجة الصبوات تخنقها القيود

والخوف والجدران والفكر البليد

عام وما زلت مقابرنا وما زال الموات

آلافهم مثلي ومثلك يدفنون

في ظلمة الردهات كالجرذان آلاف الموات

يتمزقون بلا حنين

يتمزقون ويهمعون

كالجرذ كالخفاش ينكرنا الضياء

ما زلت مثلك ضائعاً أبكي ويطحنني الفراغ

واللا مكان

لا شيء يا أختاه نملكه سوى الذكرى وأوهام الخيال

لا شيء حتى ثورة الحقد الدفين

حتى الشباب الحالم المعسول جف به الربيع

ورأى أماني[1] حلوة حتى الشباب

لا شيء غير دموعنا والخوف والفكر البليد



(1) في الجريدة: أمان.

# الحنين النبيل [1]

تحية عربية خالصة للآنسة الكريمة: هيام الدردنجي اعتزازاً بشاعرية رقيقة فذة وأملاً في العودة إلى فلسطين الحبيبة.

أريقي نشيدك في مهجتي ونادي ونادي ولا تصمتي
وصبيه يكوي جبين الحياة وشمساً تضيء بلا ظلمة
وخلية لا يعرف المستحيل قوياً على مسمع العزة
ونايا يشد عوالي الكفاح على عاصب الجرح والغصة
أريقيه مستهزئاً بالخطوب بالظلم بالدمع باللوعة
أريقيه ملء سماع الوجود وثوري على الليل والعتمة
وشقي ظلام الغطيط الكريه وشقشقة النطق والخطبة
وهبي فنحن اختصار الطريق وفيلقه في مدى الرحلة

(1) هذه القصيدة كتبها الشاعر رداً على قصيدة الشاعرة هيام الدردنجي المنشورة بجريدة طرابلس الغرب في 13/ 1/ 1959م بعنوان: «**حلم العودة**» يقول مطلعها:

دعوني أرتل أنشودتي وأصحو مع الليل والظلمة

بلى نحن يا أخت جيل الفداء صحونا على حالك النكبة
صحونا وفي كل قلب نزيف تخضب بالجمر بالعبرة
وحشد يسوى طريق الرواح إلى السهل والحقل والغوطة
إلى كرمة عمرها ألف عام إلى ملعب النور والصبية
إلى مرتع لم يزره الخريف تدثر بالدفء والفرحة
إلى صبح «يافا» وحيث تضوع زهور ربي سهلها الحلوة
أجل نحن يا أخت هذي الزنود تمور تضج إلى الوثبة
فصبي نشيدك ملء الكيان وخليه يهزأ بالدمعة
أريدك عملاقة كالحياة وغضبى وكالنار كالثورة
وكالموت تقتلع الحادثات وتقتات بالحقد والنقمة
جنيناً إلى ليس يبدو قرار ونبضاً يدمدم باللهفة
أريدك يا أخت لا تعرفين جموح المسافات والغربة
لنا نحن في فيلق الزاحفين طريق إلى النور والعزة
سنسلكه رغم أنف الزمان سنمشيه رغم الزمان العتى
لنا نحن وليحشد المجرمون قوى الشر والبغي والخسة
«يمين» كتبناه فوق الشفاه وملء الحناجر والنظرة
«يمين» كتبناه فوق الصخور وفوق المشانق بالجمرة
«يمين» بلون دماء الشباب ولون الشقائق في قريتي
وفاء إلى أن يطيح الظلام ويرمي بأسلاكه الفظة

مشاعل هذي الوجوه الظماء وهذي الهتافات من إخوتي
أصيخي ترى وثبات الرصاص تنير الطريق إلى العودة
إلى ملعب في رفيف الغروب تملَّى من السحر والنشوة
إلى الموطن العربي الكبير وشعب المروءات من أمتي
هو القلب مثوى الحنين النبيل ترقرق بالوجد والرقة
وطرف تداعبه الذكريات وزقرقة الطير في الضيعة
وسرب الفراشات حلو الضياء يدندن للعشب والزهرة
ويلثمها في التماع العبير وسربلة المرج بالخضرة
وفي شاطئيها ينام المساء على أذرع الأنجم السبعة
رؤى حانيات كوجه السلام كدغدغة الطفل كالغنوة
هو القلب مهبط هذي المروج ونهر من الحب واللهفة
فخليه يا أخت نبضاً جموحاً يحن إلى موعد الساعة
وشديه رغم دياجي الفراق وغمغمة الحزن والزفرة
شراراتنا تلعن الساقطين وموال «حمرين» للأوبة
وشدي على الجفن لا تجرحيه وخليه مستعر اليقظة
ورويه من كبرياء النجوم من الشمس من شامخ الجبهة
ومن فورة الجرح خلف الضلوع من العسف والظلم والقسوة
وخليه ظمآن للزنبقات لقهقهة البيت والساحة

وخلي أناشيدك المترعات تطال جيلا قوياً عتياً[1]

ولحناً يمزق صمت القنوط ويذكو لظى الثأر في الآهة

بطولاتنا يا ابنة الفاتحين «بحطين» تكفر بالذلة

أنا لم أزرها بلاد السلام ولكن سأشدو بكليتي

فلسطين يا صيحة الكبرياء سألقاك ألقاك يا بلدتي

سآتيك في موكب العائدين لأنظم للقدس أنشودتي

سآتيك فوق جناح الغمام لأغسل بالنور قيثارتي

سأحضره مهرجان اللقاء وأسكر حتى لغيبوبتي

وأشدو وأشدو ويشدو الرفاق وتشدين يا أخت في فرحة:

فلسطين جئناك هذي الجموع تلاقى تلاقيك باجنتي



(1) في الجريدة: تطاول جيل قوى عتي.

# إني لتبهرني المروءة والحجى[1]

وطني لغيرك ما تضرم في دمي حب ولا انثال القريض على فمي

ولغير ربعك ما كتبت قصيدة وبغير رَبْعَكِ لم أهم لم أغرم

وطني «أشيلك» خفقة جياشة ملء الضلوع بحبك المتضرم

وطني «أشيلك» في دمائي معقلاً للكبرياء ومرفأ للأنجم

وأصوغ للتاريخ منك حكاية بسوى البطولة فيك لم تستلهم

وطني لغيرك ما انتميت ولم أكن إلاّ لواديك الخصيب الأنعم

ما زلت في عيني أخصب مشتل منح الغلال قبيل جني الموسم

(1) تقول مجلة صوت المربي أن هذه القصيدة ألقيت بمناسبة الذكرى السابعة لشيخ الشعراء المرحوم أحمد الشارف وإذا عرفنا أن الشارف توفي 11/ 8/ 1959م فيكون التاريخ التقريبي لنشر القصيدة هو عام 1966.
ويقتضي الواجب أن أشير إلى أنني حصلت على هذه القصيدة والقصيدتين التاليتين من الكاتب المسرحي: البوصيري عبد الله فله وافر الشكر والمحبة.
والقصائد خلو من تاريخ النشر ومن أية معلومات عن المجلة التي نشرت الشعر.

ما زلت شباكاً أطل به علي ... دنيا الصباح على المصير الأكرم
ما زلت يا وطن الزنابق موئلاً ... للشامخين ومعبر المتقحم
لا تسألوني كيف عانق موطني ... ألق الشموس وكيف لم يستسلم؟
ومشى إلى التاريخ يكتبه هدى ... بفدى البطولة بالضحايا بالدم
ويشد فوق الجرح قلباً مفعماً ... بوركت يا ألم الفؤاد المفعم
وطني كفاني المجد أنك موطني ... وكفاء شامخة الذرى أن ينتمي
ناديت باسمك والقريض يهزني ... يشدو لشاعرك الكبير الملهم
أبقاه شدوك في حناجرنا صدى ... ما زال موصول الندا لم يفصم
ما زال يا أبتاه حلماً مترعاً ... يذرو النجوم على دياجي النوم
ويخط للتاريخ كيف تألقت ... أنشودة الشعب الذي لم يهزم
ما زال بيرقها الذي لم ينتكس ... يوماً وشاعرها الذي لم يفحم
وضميرها الوطني مهما أظلمت ... سبل الحياة لديه لما تظلم
إني لتبهرني المروءة والحجى ... ويهزني من لا يذل لمغنم
وطني «أشيلك» في دمائي شاعراً ... لسوى الرجولة فيك لم يترنم



# حنين

| | |
|---|---|
| سجا الليل يالفتة الأمنيات | وحَطَّ الدجى رحله واعتكر |
| وران الظلام على الخافقين | وساد السكون ومَلَّ السمر |
| وساق الحنين طيور السماء | لأوكارها في حنايا الشجر |
| ولم يبق في الكون حي سواي | سوى قلبي الواله المنفطر |
| تمر به ذكريات الصبا | بأطيافها الوادعات الصور |
| على موكب من عذارى الجمال | يسير رويداً رويداً يمر |
| يقبلها في حنان بريء | أريج الورود وعطر الزهر |
| ويهفو إليها النسيم العليل | رقيقاً يداعبها في خفر |
| وتنشد في جوها الشاعري | نشيد الهوى فاتنات الدرر |
| وترقص في جذل وانتشاء | لها حين يشدو حفيف الشجر |
| فينساب نبع الفتون الغزير | بقلبي كنهر طفا فانحدر |
| يروي جوانبه الصاديات | ويرفع عنها الأسى والضجر |
| وينعش فيهن لحن الحياة | كما ينعش الفقر فيض المطر |

أهيم بتلك الرؤى الرائعات ويجمح شوقي لها ويفر

إلى عالم شاعري الخيال غزير السنا والروا المزدهر

ترف به راقصات الجمال بتدويمها الفاتن المستمر

وتنشر أزهارها الفاغمات أكاليل غار الهوى المنتصر

وتأتي عرائسها السابحات بعرش إلٰه الجمال الأغر

لينشدن أروع لحن الخشوع لطيفاً لآمال جنى النضر

ألا يا شروق الصباح الجديد ويا فتنة الواله المنتظر

تعال هنا في الهزيع الأخير نلاقي معاً نسمات السحر

تعال لمرتع حبي الخصيب لنغفو كلانا بحضن القمر

ونسمع لحن السكون الكئيب تنغمه حاسرات الشعر

بنات الهوى في ربيع الشباب ترتله في حنين الوتر

هو الليل مهد الجمال الرحيب ومنبع وحي الأماني الغرر

يفيض حناناً علينا ونحن وحيدين لا منصت أو بشر

سوى خَفَقانٍ لقلبي الحنون وأشواقه بالهوى تستعر

إليَّ تعال تعال هنا فقد برَّح الشوق حتى كفر

أيحرم قلبي سناك الجميل ويضنيه قيظ الجوى والسهر؟

أتحرم روحي بهاك الوديع وتشرد في مهمه لا يذر؟

أصيخي أياربة الملهمين لقلب بآماله يحتضر

يكبله القيد في قسوة ويطفى عليه جموح القدر

# أحبك

يقولون عنَّا سيطوي الزمان هــوانــا ويــذبــل أيــامــنــا
ونحن لنا يا حبيبي الضياء تــمــلـى بــحـلــو ادكـاراتـنـا
لنا الحب نحن وهذي السدود ستــهـوى ستــنــهـار قـدامـنـا
لنا الحب كل الوجود الرحيب ترقـرق من عـمـق أعـمـاقـنـا
لنا الحب وشوشة لا تقال وسـر تـفـتـق مـا بـيـنـنـا
لنا يا حبيبي تغني الزمان وضـم هـوانـا وأحـلامـنـا
سدى لا يرف عبير الزهور وشدو النسيمات إلا لنا
فمن غفوة عمرها قبلتان تـنـدى تـطـرز تـاريـخـنـا
وإنا لتعرف عنا النجوم حكايات لقيا ظهيراتنا
وهمساً عببناه غب انتظار طويل أضعناه من عمرنا
ومن نحن لو لا لهيب الغرام أيأتلق الضوء في روحنا؟
أيخصب فينا اخضرار الحياة أتدري الشحارير من أننا؟
سدى يا حبيبي سدى أن يقال بأنا خنقنا ضحيكاتنا

وإنا أضعنا حكايات صحو هريق تموسق من ظلنا
تصاويرنا وارتجاج الضياء بعينيك تنبئ عن حبنا
وفستانك الأصفر المستهام وقد شفَّه الوجد ما شفنا
وفتحته فوق «مجرى الطيوب» تمور مُنىً وتضوع مُنى
أعانقها أنا دنيا هدايا وأحلى الهدايا تصاويرنا
أحبك ما زلت توق العبير لظل تعشق من منحنى
وأرجوحة من خيوط الضياء وضحوة دفء وبوح غنا
أحس أنا إذا غمسَّت قلبي بعينيك أشعر أني أنا
وأنك في انفلاتات لحن ترنم يوماً بأفراحنا
أحبك حتى كأني أحس بأني فوق امتداد الدُّنا
وأنك لي لي لقلبي الصغير جديول نور وحقلي هنا
إذا لم نكن نحن سر الوجود فمن سوف يشتاق من بعدنا؟
ومن سوف ينبى انهمار العبير؟ بأنا منحناه أشواقنا؟
وأنا شربناه ذكرى لقاء وكنَّا من قبل ميلادنا
روى حلم زنبقي الظلال شربت أنا كنهه مُدْمِنَا
على مرفإ من عشايا الحنين وقد أحرق الشوق أحساسنا
ونحن نرش على الدرب أحلى خطانا وأولى ابتساماتنا
وأذكر كيف يروق الصباح ويستدفئ الضوء من حولنا
إذا نحن جئناه ذوب انجذاب ولهفة روحين تغري بنا

تـرانـي كـيـف ألاقـي الـدروب إذا سـاءلـت عـن لـقـاءاتـنـا

وهـذى الـهـنـيـات تـسـأل سـراً وتـشـتـاق عـطـشـى لأخـبـارنـا

ويـسـأل عـنـا الـزقـاق الـطـويـل إذا عـانـق الـظـل مـيـعـادنـا

وهذي العصافير كيف ستسلو؟ وكـيـف تـزقـزق مـن غـيـرنـا؟

ونـحـن كـشـفـنـا عـن الـحـب دنـيـا حـمـلـنـا لـواءاتـهـا وحـدنـا

أحبـك مـا زلـت هـذي الـسـدود سـتـهـوى سـتـنـهـار قـدامـنـا



# ثانياً: النثر

# دعوني يا صحابي

دعوني صحابي أتوغل في مطاوي هذا الظلام، ومسارب هذا الوجوم، لأتبين مجاهلها، ولأسبر غور مهواتها السحيقة. فعزمي حديدي، لست من ذوي النفوس الخانعة، والقلوب الهاجعة.

دعوني أسير وحدي، وفي كنانتي سهم الانعتاق، سأتشبث به عندما ينطق نحو مطارح الأمل النائية، وعبر مفازة من الأخطار والمخاوف، وطريق محفوفة بالقتاد، والأشواك الدامية، ودربي ليس لاتجاهكم فإنه خاص بي مظلم مهول مفزع.

دعوني فقد حان موعد الوداع، ليس ثمة داع لإشفاقكم على انطوائيتي الحزينة، ووحدتي الكئيبة، وها هو النداء السرمدي يدعوني إلى المجهول، وقد نصبت شراعي، وتهيأ زورق الخلاص للإبحار في اليم الصاخب الأمواج، الثائر العواصف، وعلى شفتي تفتر ابتسامة للأمل العذب، وطيفه المجنح يرفرف حوالي، وتنطلق كل جارحة من جوارحي، صادحة بمقطع جميل لأغنية عذبة تنساب بأذني في رقة، وتطرق أوتار قلبي، فيعي رجعها

الإلٰهي الرتيب إنها أغنية الملاح. . . الملاح الذي يرتسم شاطئ الأمل في كل لفتة من لفتاته نحو الأفق ويتراءى بمخيلته مرفأ السلام مع كل مد وجزر يدفعه للأمام ويرجعه للخلف.

دعوني رفاقي فإنه من السخف أن أحزنكم باكتئابي ويستدر حالي تأثركم ودموعكم التي يجب أن تكون باقية في مآقيكم فمن الحماقة أن تسكبوها إشفاقاً وتأثراً لي فإن قلبي طافح بالإيمان والعزم زاخر ينهر المحبة والطهر وأن الدموع والعرق التي تنضح مني هي ماء الحياة الذي يطهر براقع نفسي ويمحو عنها آثار اللطخات ويريني ناصعاً أمام وجه الشمس الخالدة فما لكم وشاب تاه في غمرة السهوم ضاع خلال مفازات مجهولة المعالم وعرة المسالك والمنحنيات.

دعوني فقلوبكم هانئة عامرة بالسعادة والسرور فهنيئاً لكم. هبوا أنتم إلى الأذرع والأكتاف العارية فقد جن المساء وران الظلام.

إذن هبوا إلى الأحضان لسكنكم في جنات حبها وفراديس حدبها أما أنا فسأدخل على قلب هذا الدجى الساجي وفي يدي فانوس الإيمان وسراج الأمل ينيران لي مسالك الطريق واتجاهات الدروب متخطياً الأشلاء والجثث التي سقطت بعد أن رفسها الدهر بنعاله القاتلة سأسير إلى حيث يروق لي فالطبيعة أمي وأرض الله مسلكي وأني صبور على الأهوال لأنني ابن الألم فالأب كثيراً ما يقسو على ابنه ليعلمه الصبر الجلد واللامبالاة

وكثيراً ما يمضه بسوطه القاسي ليغرس فيه بذور المجد والخلود والاعتماد على النفس.

دعوني رفاقي فأبي رحيم لا يريد بي سوءاً ففي بوتقته السحرية صهرني وسيتعهدني بالنقاء والصفاء اركنوا أنتم إلى سعادتكم الغريرة فهي ما تزال غضة يانعة أما أنا فأمامي جهاد شاق وحرب ضروس لا تضع أوزارها هنيهة إلا وتعيد الكرة والكرات سأجاهدها وبيدي معول الفلاح الكادح ومنجل الحاصد المكدود أقتات بحبات العرق وأتدثر بأسمال العامل أمَّا أنتم أيها الصحاب فحياتكم رغيدة ليس فيها ما يكدر فدعوني ولا تحلفوا بحياتي أضعها أنى أردت وأتردى بها حفرة الهلاك إن شئت وأرمي بها في مهاوي الردى لا من يردني أنا حزين فلا تحفلوا بالحزانى النائحين فقد تصيبكم منهم عدوى أنا متألم فلا تقيموا وزناً للباكين المتأففين ففيهم ما ينكد عيشكم ويعكر صفوكم بهذا الاكتئاب الأحمق.

دعوني لأتعبد في المحراب الذي شيدته في قلبي وصلواتي وخلجاتي وعلى هيكلي الشاحب جبة القسيس الحزين وسأحرق فيه بخور قلبي متضوعاً يملأه عطراً وجلالاً وهاصراً نضارة شبابي ومريقاً ذوب أحداقي قربانًا على مذبح الجهاد وسيروا أنتم إلى عذارى قلوبكم وفتيات أحلامكم وعرائس سعادتكم لتتبادلوا معهن النجوى والآهات ولتسكبوا أشجانكم وحنينكم إليهن عند ملامس القبلات والضمات ومع كل همسة.

من همسات القمر وعند كل خفقة من خفقات الوجيب المستعر تنبعث الابتسامات الحالمة ويضرم أوار الحنان الملتهب والحب المشبوب أما حبي أنا فالجمال الأعظم منبعه أهيم على تغريد عرائسه المياسة في الملكوت المقدس حيث أجثو ومعي قلبي ووجداني وروحي ترتل معي المراسيم الأزلية الخالدة التي صاغها فتى الحب والحياة.

دعوني رفاقي فأنا لست منكم وأنتم لستم مني ولا أمت إليكم بصلة أو بوشائج البتة فعالمكم لا يروق لي البقاء فيه لأنه خاص بكم وحدكم وجوكم مشبع باللهو والقصف والمجون فماجنوا والهوا واقصفوا مع ضحاياكم المنبوذات الطريدات أما أنا فسأسمو إلى عالمي الذي اخترته لنفسي حسب ميولي وأهوائي فاتركوني ومالكم لهذياني وغثياني المضللين ومالكم ولفكري الساذج الغر وما يميله على هذا العقل الأحمق الذي مسه الجنون العابث ببقايا أحلامي الكسيحة وسأسير أكافح وأجاهد عن مطلبي وإن كان وراء الحدود اللامتناهية فأنتم ترون هذا ضرباً من المستحيل واللامعقول وأنا أرنو إليه في حنين ولهفة وكأنه تجسد أمامي حقيقة باسمه لذلك فنحن مختلفون في هذه النظرية التي تعزونها أنتم للمستحيل والخطأ فلهذا رجوتكم بألا تحفلوا لهذا الخيال الممعن في السراب المتشبث بالمستحيل دعوه وشأنه يسبح في تمعنه وسرابه وأهامه.

أي صحابي اتركوني أجوب الفيافي المجدية فالهجير لافح

لا يرحم وأجسادكم مرهقة وأقدامكم ناعمة لا تقدر على القيظ وسياط الحر المفزعة اتركوني فعلى شفتي تنساب أغنية الرعاة الشجية أتغنى بها لأستفز الصمت ولأعكر صفو السكون بأناشيدي وآهاتي لتقودني إلى الهدف المنشود فعبر نهر الانطوائية إلى بحار الوحدة والعزلة سأنشر القلاع ولم يزل في قيثاري وتر محموم يتأوه بألحان المحبة والسلام فتسمعها الأطيار فتهفو إليها في تحنان ولهفة وتظل تردد مقاطعها وتكرر رجعها وفي كل مقعطع تذرف الدموع ومع كل آهة تنبعث الآهات لا تشفقوا عليَّ أيها الخلان الأعزاء فأنا أكره هذه الإهانة ولا ترثوا لحالي أيها الرفاق فأنا أمقت هذا الجميل الذي تسعون أنتم لتسدونه إليَّ.

دعوني لوحدي يؤنسني قلبي لأنه وحيد مثلي وكلانا رحيم بصاحبه اتركونا لوحدنا إلى أن يجد حبيبه وأجد أملي.

ـ الفكرة مقتبسة ـ.



# محاولة نقدية

## مسرحية عمر المختار بين الواقع المادي والذهنية البحتة

الأخ الأستاذ عبد الله القويري وجه جديد مشرق من وجوه ثقافتنا الوطنية الوليدة عرفناه قصاصاً وكاتباً موفقاً إلى حد كبير من خلال كتابته على صفحات جريدة فزان وجريدة المساء.

والأستاذ عبد الله غزير الإنتاج يكتب بجد ويستطيع القارئ أن يلمس بصدق حرارة التجربة ومعاناته لها وإخلاصه لموضوعه.

ومسرحية عمر المختار إحدى سلسلة هذا الأديب ولقد أهداني منها نسخة تقبلتها في كثير من الاعزاز والإكبار والتقدير والملاحظات التي سأوردها هنا لا تقلل من قيمة المسرحية كعمل أدبي يعتبر الوحيد من نوعه في ثقافتنا الناهضة بالإضافة إلى خطورة هذا النوع من الأدب وافتقار الأدب العربي منه بصورة عامة قدر ازدهاره للشعر والقصة والمقالة مثلاً أي أن المكتبات العربية ظلت مدة طويلة لم يتح لها أن تحتضن هذا النوع إلاّ بعد ظهور الحركة التفاعلية للأدب العربي في مجالها الواسع بالآداب

العالمية والاستفادة منها وتأثره بالثقافة الغربية خاصة ولست هنا بصدد تأريخ المسرحية في أدبنا العربي بقدر ما أقصد التنويه إلى حداثة ظهورها وعمق خطورتها وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول إن مسرحية عمر المختار ليست عملاً أدبياً فقط ولكنها أيضاً جهد ومعاناة وكسب للمكتبة العربية كما أن الموضوع الذي تناولته يعتبر أكبر حدث في تاريخ أمتنا العربية الناهضة.

فهل وفق المؤلف في رصد هذه الحركة لما يعكس خطورة دورها في التاريخ القومي؟وما مكانها من الثورات العالمية الأخرى؟ وما هي ميزاتها ودلالتها عبر التاريخ؟

هذا ما سأحاول بكل إخلاص تناوله في مقالي هذا.

والواقع أن المشاهد العامة لجو المسرحية كانت ملائمة جداً بحيث أكسبتها الطابع البيئي إلاّ أن السردية وحشد الكثير من المواقف وزع الحركة التطورية للأحداث إلى ما يشبه عملية تجزئة في البناء الحركي خاصة ما دار في الحوار الفلسفي والانفعالي الذي يأتي في بداية الفصل الأول عن حقيقة الخيانات والضعف الإنساني مما لا يتوافق ونفسيات الشخوص المسرحية المتغايرة المتميزة فهي كما يصفها المؤلف في المقدمة شخصيات تتسم بطابع البساطة وبالتالي فهي ليست في مستوى هذا التفكير الفلسفي المجرد الذي يتجاوز حدودها الفكرية المعقولة «فصالح» مثلاً إنسان بسيط متوفز الحركات وفي «عيسى» إنسان متهور متردد وليس هناك ضابط في نفسه بين الحب والكراهية يعاني أزمات

نفسية لصراعه ضد رغباته المتناقضة مما يؤكد الافتعالية وتدخُّل المؤلف من خلال هذه الشخصيات وبذلك غشاها ضباب الذهنية ومنعها من الاعداد لخوض مرحلة نضالية فيها موت وغزو وعبودية وغامت أمام هذا أيضاً حرارة الإقدام ليرد الاعتداء المتسلط على حياة شعب آمن وتلاشت هذه الحرارة في جو الفلسفة والمعادلات.

فالحب والعطف وعدم إراقة الدماء وتبرير الجاسوسية والخيانة بالضعف هذه هي القيم التي تقوم عليها أهداف ومبادئ المقاومة التي يتزعمها عمر المختار.

ومن ذلك فالجاسوس الذي يخون وطنه وإنسانيته عندما يقع في أيدي عمر المختار لا يحرق أو يقتل جزاء خيانته بل يتودد إليه ويطعم ويعود مكرماً ومرافقاً أيضاً بدعوى أنه ضعيف وارتكابه لهذه الخيانة إنما هو عمل اضطراري محض.

وأنا أعتقد أن هذا زيف واعتباطية فالمشكلة ليست في نشر القيم والمبادئ بقدر ما هي محنة تسلط وغدر ووحشية إلا أن المؤلف يدخل بهذه العمدية ليحقق عملية تبني قيم معينة ولكنها غير متمثلة ومحاولة إخضاعها وصبغها بالصبغة الواقعية لتلك الانتفاضة كتحديد لموقفها الإنساني.

وعمر المختار يعترف نفسه بوحشية الاستعماريين وقذارتهم عندما يقول «**من أين لهم أن يعرفوا لقد ضربت على عيونهم غشاوة وصنعت نفوسهم الأحقاد**».

وكما يقول «فاضل»: «ما أبشع الخديعة عندما كانت تطل من عيونهم».

إذن تبرير الخيانة أمر غير محتمل كما أن التسامح والتساهل هنا يفقدان جدواهما حتماً مع فئة من الوحوش تتنكر لأبسط مبادئ الإنسانية وقواعد الأخلاق.

والفصل الثاني مهم جداً في نظري فقد كان من الممكن جداً أن يحدد فيه المؤلف موقف الشعب بأسره بعد عدم جدوى مفاوضات الهدنة التي جاءت في الفصل الأول إلا أننا لن نحس بالارتباط الجماهيري للشعب بكل أبعاده ومسافاته لم نحس بروح المجموع نابضة قوية تقف في صمود إزاء الخطر الداهم لم نحس بصدى المقاومة التي تفرضها الظروف الحرجة لم نحس بتفاعل القيادة مع الشعب في موقف واحد تبرز من خلاله إرادة الشعب المكافح بل لقد جاءت حوادث هذا الفصل في شكل تفقدات باهتة للأسلحة والعتاد كذلك أفسد عليه استغراقه لحادثة مصرع محمد وهي ليست ذات موضوع بالنسبة لما يتعرض إليه المبدأ الأساسي من دمار وانهيار.

والحركة النضالية التي عاصرت أحداث جهاد عمر المختار لم تكن بمعزل عن الصراع العام بل لقد انبثقت من القوى الشعبية نفسها وفي نطاقها العام أعني في حدود موطننا كله وإذا لم تنعكس تلك البطولات جميعها لتساند جميعها وإذا لم ترتبط ككل في خط تصاعدي واحد فلا شك أنها تفقد كل مقولات الدور

المجيد لعبته في تلك الفترة التاريخية من كفاحها المقدس كذلك تفقد أيضاً خصائلها كحركة كان لها أثر كبير في التاريخ ومن هنا أخذ عليه المؤلف أن يرصد وقائعه بكل ما يستلزمها من إحاطة وشمول حتى تظهر حقيقة عمله على الوجهة التاريخية.

أما من الناحية البنائية في هذه المسرحية ففي اعتقادي أنها لم تعايش تجربتها الثورية بكل حرارتها واندفاعها مما لم يكسب مضمونها خصائصه وفاعليته بل إن التشتيت الذي تخلل وقائعها أحياناً.

أحدث فيها كثيراً من التخلخل وأصابها بنوع من الخفوت وبالرغم من أن شخصية «محمد» تعتبر أطيب نموذج لتمثيل الجانب الإيجابي للثورة والتعبير الجماعي عن الشعور العام.

إلا أن النهاية الدراماتية التي اختارها المؤلف لهذا الدور أغرقته في جو الفاجعة وأفسدت عليه حيويته الدافعة وجاءت على شكل احتضار متشنج يشيع رائحة الهزيمة والانتكاس في صميم عملية المد الثوري.

وأنا معجب جداً بشخصية محمد معجب باندفاعه بوداعته بإخلاصه للقضية التي يكافح من أجلها وبقيمه البسيطة التي يؤمن بها وأعتبره النموذج الأصيل الذي يمثل روح الشعب في صموده وروعته لذلك لا أريد له أن يموت هكذا بكل بساطة.

لقد كان من الممكن جداً أن يعيش محمد ويعكس ظله على السلم التطويري للمسرحية فيكسبها أكثر نبضاً وانسيابية.

أما من ناحية العمل الفني فهناك تبرز صدفة مفتعلة في عودة محمد محمولاً على جراده وأنا لا أحب الصدف ولا أحب الافتعال في الفن.

والشخصية الثانية الجديرة بالاهتمام في هذه المسرحية هي شخصية «عيسى» فكما أن محمداً يمثل الجانب الإيجابي في الحركة «فعيسى» يمثل جانبها السلبي أي أن هاتين الشخصيتين تمثلان طرفي النقيض في البعد الوجداني للشعور العام.

وعوامل السلبية في نفسية «عيسى» أغلبها تأتي عن سلوك مزاجي لزج وهي بدون ضابط لفداحة المسؤولية فالتهور والتردد أحياناً والاندفاع أحياناً أخرى كل هذه العوامل هي التي تتحكم في تحديد سلوك عيسى تجاه الأحداث وتبلغ اللامبالاة عنده ذروتها في موقفه من اعتقال القائد واختياره تلقائياً لئلاً يقوم بواجبه وافتداء قائده في الوقت الذي كان لا يعتمد فيه على سواه ولقد وفق المؤلف في رسم هذه الشخصية في جميع المراحل التي عايشتها وقد أعطى نموها العكسي دلالته الحتمية في اعتقال عمر المختار إلا أنه استثنى من ذلك الانقلاب الفجائي الذي يطالعنا في آخر النهاية مما يتعارض وحقيقة تكوين التغير وبدون أن يمهد له وعلى أي حال فأنا أعتقد أن هذا لا يؤثر أبداً في نجاح المؤلف لرسم هذه الشخصية بكل عوامل التهور والسلبية فيها.

وتنبثق من أهمية دور عيسى في هذه المسرحية دلالة أخرى فهي قد تصلح إلى حد ما لتكون رمزاً تمثل جوانب السلبية في

الشعب «فغراسياني» كان يرمز للاستعمار كان يمثل القوة الحديدية الغاشمة بكل وسائلها الرهيبة وبكل بشاعتها وقذارتها وعيسى في حقده على «غراسياني» ورغبته في قتله كان يمثل التعبير عن مجموعة من الأحقاد وكما أن هذه الرغبة عند عيسى لم تكن لتتعدى منطقه كمتنفس للضيق الذي يشعر به وكرغبة قائمة ليس لها ارتباط محدد بالواقع كذلك كانت هناك مجموعة من الرغبات في القطاع الشعبي تمثل الإحساس كمتنفس من الثقل الاستعماري البغيض ولا شك أن مرد هذا إلى عوامل الضعف في حركة الجهاد وما كان ينقصها من الكثير من مقوماتها الأساسية فبدائية الوسائل لمقاومة العدو الغازي وعدم تكافؤ القوى المتصارعة بالإضافة إلى بعض الخوف والتردد كل هذه العوامل أحدثت الهزات العنيفة في صميم المقاومة الجزئية التي كانت حركة عمر المختار امتداداً لها ونفساً عميقاً يزخر بالبطولة والإقدام.

وشخصية بطل المسرحية لا يعتمد في تحديدها على الرؤية الخارجية للأحداث في مجالها الزمني الحاضر إذ ليس أي تجاوز واضح بالنسبة للمستوى العادي لبقية الشخوص ومعنى هذا أننا إذا ما نظرنا إليها من زاوية مجالها الخارجي تفتقد حتماً النسيج الحي الذي يشكل دور هذه الشخصية وفاعليتها وظلالها التي كان من المفروض على خط السير الاتجاهي للمسرحية والمؤلف يعطينا مفتاحاً واحداً لاستكشافها هذا المفتاح هو عملية الرصد الاستبطانية للوجود الداخلي لنفسية البطل وبقية النفسيات الأخرى وبالأخص «فاضل وأبو رحيل» ومحمد هو الإيحاء والاعتماد على

الرمزية واستشفاف المعاني والأفكار التي تكمن في الحوار.

ولكن على الرغم من أن هذه الآراء يمكن فعلاً أن تؤدي إلى نتائج بالغة الأهمية وبالرغم من أن عمر المختار كان فعلاً يمثلها بالرغم من هذا كله فأعتقد أنه من الأهمية بمكان ضرورة التخطي بهذه المعاني وهذه الأفكار من منطقة العقل أو الوجدان إلى مجالها العملي حيث تتبلور على شكل حادثة أو تجربة واقعية واضحة المعالم فالبطولة لا تفسر ولكنها تمارس وتطبق وتتفاعل ولعل المؤلف أدرك بنفسه هذه الحقيقة عندما عمد إلى الأتيان باستعراض سردي ـ عن طريق البطل ـ لذكريات اشتراكه في حركة الجهاد وتشوقه لأن يمارسها من جديد كتأكيد تام جازم ولكني أعتقد أيضاً أن هذا لا يفيد الاستمرار بكل خصائصه الموضوعية المتمثلة.

والمؤلف يعكس ظلالاً أكثر شمولاً لمفهوم البطولة عنده ويوردها على «فاضل» ويستعرضها في شكل حوار خطابي عندما يدور الحوار التالي بين عيسى وفاضل.

عيسى: لقد حاكموه لأنه دافع عن وطنه.

فاضل: لا لا لا يحاكم الأبطال.

عيسى: أرادوا أن يسخروا منه فسخر منهم.

فاضل: لا الأبطال أقوى من المحاكم.

عيسى: وصاروا يسألون وهو يجيب.

فاضل: لا الأبطال لا تجيب سوى أعمالهم.

عيسى: حدثني رجل عنه كان أقوى من القضاة والكلاب.

فاضل: الأبطال لا يقاضيهم أحد على الأرض.

عيسى: كان كالقيمة التي حبست في الحديد.

فاضل: إن القيم لا تحدها أسوار أو حديد.

وبالرغم من طرافة هذا الحوار الفكرية وسلاسته فمن وجهه نظري أن التسلسل المنطقي وتفتق الذهنية عند فاضل على هذا النحو إنما يتعارض تماماً وما يقتضيه الموقف إذ إن الصدمة التي أحدثتها حادثة اعتقال عمر المختار لا شك أنها تسبب نوعاً من المفأجاة والشدة وبذلك يكون هذا الحوار غريباً عن جوه وعن حقيقة الموقف ويعتبر سيطرة مباشرة من المؤلف على أفكار ونفسية فاضل وتحريكها لتمثيل فكرة البطولة على شكل أفكار لفظية وخطوط عقلية بحتة.

كما أن هذه الحادثة من جهة أخرى لا تعني الانهيار التام وطغيان الكارثة بطريقة غارقة في السوداوية وهي لا تبرر أبداً ما طرأ على شخصية «أبو رحيل» وتناقضها النفسي التام وتغيرها الفجائي في لحظة إلى ما يشبه الاستسلام والشلل وتبرز في أغلب الفصل الرابع شخصية «أبو رحيل» هذه جزعة متهالكة منهارة مغلوبة على أمرها بشكل مثير حقاً وهذا يعني أن المؤلف يحدد معنى البطولة بطريقة غير صائبة ويكسبها هالة من التقديس

والألوهية حتى لتبدو وكأنها مواقف خارقة أو كأنها ليست نشاطاً إنسانياً تشكله الإرادة والعمل والتصميم ويمكن أن يقوم بها أي فرد متى توافرت له الأسباب والمقومات الضرورية وبذلك أدى هذا الفهم إلى ذوبان شخصية «أبو رحيل» وتلاشيها ومسخها وتحولت فجأة إلى دور هزيل تجمدت فيه جميع إمكانياته وحيويته وأربكه في نزوات إلى حد الخبل والانهيار واللا إرادية.

وهذا ما يختلف في تحديد دور البطل في العمل الروائي على أنه عنصر البناء الموجه وهو لا يذيب بقية الشخصيات الأخرى أو يمتصها أو يطمسها بل على العكس يلمس بوضوح قيام المشاركة البنائية بينه وبينها إذ لا يمكن أن يتطور هذا الدور بمعزل عن بقية الأدوار الأخرى وتأثيرها عليه وارتباطها به.

فالبطل تخلقه الجماهير والظروف الملائمة وهي التي تمده من زخمها وحيويتها بنشاطه وإمكانياته ومجاله. أما النتائج المترتبة عن عمل البطولة فليست إلا نتائج التفاعل بين البطل والمجموع كذلك ليست إلا دلالات وتحقيقاً لما يعتمل في وجدانات الجماهير وتخطياً بها من مرحلة الحلم إلى واقع التجربة أعني عملية ارتباط تتم بين عنصر التوجيه من جهة وبين القوى الديناميائية اللازمة التي تمثلها المجموعة من جهة أخرى وبلورتها على شكل نشاط فعال فدور البطل إذن التوجيه للنشاطات الكامنة لا خلقها أو إيجادها بطريقة فردية وهو بالتالي على أي حال لا يمكن أن يكون إلها أو خارقاً للعادة كما تمثله أبو رحيل وهذا ما

أدى إلى تمزق هذه الشخصية على شكل مأزوم لا يمكن تصوره ولا يمكن أن يتوافق أبداً مع الخطوط العريضة التي رسم بها المؤلف نفسيتها وتطورها داخل البناء المسرحي.

وبعد

فأنا أرجو أن يعطى أدباؤنا الشباب ما تستحقه هذه المسرحية من اهتمام وعناية وأن يسلطوا عليها أضواء النقد والدراسة فهي لا شك خامة طيبة للعمل المسرحي جديرة بأن تنال ما يرجى لها من تقدير.

تحياتي لصاحب المسرحية ورجائي له بحياة حافلة بالإبداع ووسائل الخلق ولا تعدو هذه الملاحظات أن تكون إلا مشاركة وجدانية ومساهمة متواضعة لإظهار ما لهذا العمل الأدبي من قيمة فيها فخر لأدبنا الليبي الصاعد.



# أدب وحب

ليس من شك أن النزعة الرومانتيكة في الأدب التي ظهرت بوادرها في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع كثورة فكرية على القوالب الجامدة وكرد فعل عنيف ضد المذهب الكلاسيكي القديم ليس من شك أن هذه النزعة رغم الانقلابات الاجتماعية التي أحدثتها على الفكر والأدب وجميع مفاهيم الحياة فهي تقف اليوم عاجزة تماماً أمام الأحداث التطورية التي عاصرت القرن العشرين بعد أن تطورت المشكلات الاجتماعية والإنسانية على نحو جاد وزاد إحساس الناس بها ووعيهم لطبيعتها وحقائقها الموضوعية والمادية بدون الانسياق وراء العواطف الجامحة والخيال المفرط وأصبحت التأملات المجردة ضرباً من الغثه واللا جدوى.

وفي مجال الأدب والفن نجد كذلك أن هذه النزعة قد أحدثت أيضاً انقلابات جذرية بالغة الخطورة والأهمية في المفاهيم الأدبية والنفسية على السواء وحطمت الجمود وحررت الفكر من قوالب التقليد إلى الرحابة والانطلاق والغوص في

أعماق النفس الإنسانية وما يجيش بها من انفعال وشجن وحب ونوازع وغيرها من الانقسامات النفسية والوجدانية وأصبحت النفس البشرية هي مركز الاهتمام ومن أكبر قضايا دعاة هذه المدرسة التي يمثلها خير تمثيل «جوتة» و«شيلي» و«بايرون» «فيكتور هوجو» ولقد اصطبغت آثار الكثيرين من الكتاب والشعراء بالصبغة السلبية من شجن وحزن ونزوع إلى العزلة وارتماء في أحضان الطبيعة وحدة الحساسية والتأمل الميتافيزيقي.

وظل الأدب الروماني بصفة عامة تعبيراً عن الصراع الاجتماعي ضد طبقة النبلاء والإقطاع وحتى الكنيسة في كل من ألمانيا وفرنسا على الخصوص واحتجاجاً صارخاً على العبودية الفكرية والاجتماعية وتبعية القطيع التي عاصرتها جماهير الطبقات العامة في ذلك العصر تساعدها في ذلك الطبقة البرجوازية التي تكافح من أجل حماية مصالحها النامية نتيجة للتطورات الصناعية الهائلة والتقدم العلمي الذي غمر أوروبا.

ولكن كما قلت وبالرغم من كل ذلك فإن الدور الذي كان يقوم به الاتجاه الرومانسي في الأدب لا يعكس تماماً الحقيقة الموضوعية للحياة التي عاصرها ذلك لأن أغلب اهتماماته كانت تتناول المشاكل الفردية الخاصة وما يتنازعها من حب وقلق وخوف من المجهول وما إلى ذلك من الحالات الوجدانية والعاطفية التي تعيش بمزاج شاحب وإسهال عاطفي غامض وكان لا بد من إيجاد حل وكان لا بد من التفكير بعمق ووعي تجاه

المشاكل التي يتعرض لها الإنسان وتزداد حدتها ضراوة وكثافة بعد تطور الإنسان وازدادت تناقضات الحياة ونشاطاتها في جميع المجالات الأدبية والفنية والسياسية والعلمية على السواء ومن هنا اتجه الإنسان الجديد إلى التفكير الموضوعي والاستقصاء الجاد لتثير الظواهر والكشف عن المجهول بطريقة علمية لم يسبق لها مثيل في تاريخ الإنسان وأصبح البحث الموضوعي التزاماً يأتي من الداخل من داخل الإنسان نفسه وما يثيره العلم من انتصارات في علم الحياة ومن حقائق ووضوح على أساس من المنطق والمشاهدة والتجربة.

وهكذا ظهرت الواقعية الجديدة كطريقة مغايرة متميزة لإدراك الحياة والنظر إلى الأشياء على اختلاف مستوياتها بما ينعكس من آثار لعالم الطبيعة والحياة وأصبح تبعاً لذلك الأدب تعبير عن الحياة الواقعية ومظهراً مختاراً من مظاهرها بعيداً عن الجموح والشك والغموض التي يثيرها الأدب الرومانسي والمزاج العاطفي وبدأت النظرة تتسع بعد ذلك لتشتمل قضايا الصراع التي تحدثها التناقضات داخل المجتمع وعلى ضوء هذا الاتجاه أصبحت الكلمة أداة جليلة في سبيل حياة فاضلة تنتقل من الأقبية الرطبة إلى المجال الإنساني الرحب لتمجد انتصارات الإنسان وتعبر عن مشاكله وهمومه واهتماماته ولم يعد بالتالي الفنان الأصيل يتنازع مع ذاتيته في معارك لا تنتهي أو مع رغباته المتناقضة ولكنه أصبح اضطرابه في واقع الحياة يعين مع مجموعة من الناس وأصبحت مسؤوليته تجاههم تمثل وظيفة قيادية ضد

الحواجز التي تقف لتعرقل نمو التطور في حياتنا الإنسانية أي أنه الإنسان الذي يصنع الحياة ويصنع الفعالية المبدعة لتأكيد الحفاظ على معاني قيم الإنسان الفكرية والحضارية وإثراء وجدانه بالحب والخير والبساطة والجمال.

**الحب للحياة:**

هل صحيح أن التحدث عن الحب عيب وكلام فارغ؟

هل صحيح أن هذا الإحساس الرائع الذي يربط ما بين العلاقات الإنسانية ويوحد ما بينها إسفافاً وضرب من الهراء الذي لا طائل وراءه؟

هل وهل وهل علامات استفهام كثيرة وضخمة تتناثر أمامي وأنا أتحدث عن الحب وكأني أرتكب جريمة وكأني أحرض على إهدار قيم المجتمع وأدعو إلى النيل منه والتردي به إلى مستوى الانحدار.

أي تعاسة أن يتحكم قانون قبيح من الممنوعات والمحرمات في صرامة وتعسفية مفرطة.

وأي معنى لحياة هي الأخرى قبيحة لا دلالة لها ولا مفهوم.

والواقع أن هذا بدون شك هو الانعكاس الحتمي للوضع الاجتماعي الذي نعيشه ونتيجة لركود علاقاتنا الاجتماعية والثقافية ولاستمرارية التخلف في وسائلنا الإنتاجية في جميع المجالات

سواء من الناحية الاقتصادية أو الفكرية أو الحضارية بحيث احتفظت القيم التقليدية القديمة بجميع فاعليتها التأثيرية على مجتمعنا لتحديد سلوكه أو التحكم فيه ولا تزال فكرة الحريم التي جاءتنا من عصور الانحطاط والظلام هي الفكرة السائدة التي نتعامل بها حتى الآن.

وظلت المرأة تعيش وجوداً طفيلياً على الرجل عليه حمايتها وإطعامها ومعاملتها بكثير من الدونية والاجحاف واتسعت شقة الخلاف بينها حتى أصبح الكثير من علاقاتنا الزوجية لا إنسانية في أغلب الأحيان يغلب عليها طابع الملل والفتور والضجر وتنتهي أخيراً بالطلاق أو الفشل.

ولعلنا نحن أبناء الجيل الجديد هذا الجيل التعس فتيان وفتيات هو الذي يتحمل وحده مسؤولية هذه القضية وهو يقف في مفترق الطرق ويحاول أن يسترد اعتباره وضياعه ويرفض أن يتعطل إحساسه ويتبلد وجدانه ويقف قلبه عن الخفوق ويرفض أن يكون الحب عيباً وكلاماً فارغاً.

هذا الجيل في حاجة ضرورية ومستعجلة إلى انقلاب خطير في جميع مفاهيم حياته والنظر إلى القضايا بأكثر موضوعية واهتمام في حاجة إلى الاستقلال الذاتي والاعتماد الذاتي والتعبير المستقل وعدم الذوبان والتلاشي في الأسرة بالإضافة إلى الثقافة الفكرية الواعية التي تحدد رغباتنا وتستكمل مراحل النمو والإدراك فينا لتصل إلى مرحلة التكامل الشخصي والتلذذ بحلاوة

الشخصية التي هي سبيلنا إلى بوابة الحياة الكريمة.

إن الوسائل الغرامية التي يتبادلها الجنسان كتعبير عن الحب ليست إلا طريقة ساذجة وعبيطة وليست إلا تعبيراً عن حالات مريضة يتعامل بها المراهقون لفشلهم وإفلاسهم.

إن المطلوب من الجيل الجديد إلغاء هذه الطريقة الصبيانية لينتصب مارداً في وجه الذين يضعون الشوك في طريقه لينمي علاقات الحب ويكبر من شأنها ويجعلها مبدأ أساسياً للمعاملات فالحياة يجب أن نعيشها بمعنى وأصالة وأن نفجر طاقات الإبداع فينا ونحررها من سلاسل الكبوت ومعاقل الرتابة ونتلمس وجودنا الإنساني؛ ذلك لأن المستقبل لشباب جيلنا الجديد.



# أدب وحب

دفاعاً عن الزوجة الليبية:

«اعترافات إنسان» قصة للزميل محمد فريد سيالة كتبها ليعبر عن رأيه في مشكلة هامة من قضايانا الاجتماعية وهي عدم التوافق الفكري وعدم التكافؤ بين الزوجين وخصوصاً بالنسبة للأزواج المتعلمين ولهذه القصة مفتاح هو «إن الإنسان لا يشعر بوجوده إلا إذا أحسَّ بحريته» ويضع هذه الفكرة في «برواز» عريض حتى تكون «يافطة» كبيرة تشير إلى الهدف الذي يرمي إليه.

وملخص هذه القصة عن حياة دكتور بعد عشرين سنة من تخرجه من كلية الطب وهي كما يصفها حياة عزوبة مليئة بالشعور بالكراهية والنفور لهذه المهنة التي لم تستطع النساء ولا الخمر ولا السهرات الحمراء الصاخبة أن تنتزع منه الإحساس بالقرف والاشمئزاز تجاهها.

ويلتقي هذا الدكتور بأحد مرضاه واسمه «سليم» يروي له هذا الأخير مذكراته وهي على شكل قصة باسم «اعترافات إنسان».

وسليم هذا شاب ليبي وكاتب اجتماعي له آراء وكتابات عن التقاليد الفاسدة التي يعيشها مجتمعه وقد تزوج من فتاة ليبية اسمها «مريم» لم يستطع أن يوفق معها في الحياة التي كان ينشدها ويدعو إليها خصوصاً وأن مريم كانت قليلة الحظ من التعليم وأنها لم ترتفع عن مستوى أفكار بنات جيلها.

وبالرغم من أن سليماً ينجب منها ولداً فهما ما زالا مختلفين في الآراء وطريقة التفكير ولا يلتقيان إلا من خلال علاقتهما الزوجية الجنسية فقط.

وأحس عندها سليم بأن حياته بسبب هذه الزيجة الفاشلة رتيبة وخالية من أي طعم.

وكانت أن دخلت في حياتهما فتاة أجنبية اسمها فوزية سلمها أبوها لسليم كأمانة عنده نظراً لمعرفته به ونظراً لعدم استقرار هذا الأب الذي يعمل بإحدى شركات «البترول» في طرابلس فهو دائم التنقل من مكان إلى آخر وهو إلى جانب هذا أب ماجن يبحث عن اللذة ويريد أن يتخلص من ابنته ليفسح المجال أمام مغامراته المتكررة مع نساء الليل.

واحتلت هذه الفتاة إحدى غرف البيت ثم تطور وجودها من مجرد علاقة أخوية تفرضها صلة الأب بسليم إلى علاقة غرامية عنيفة رغم وجود الزوجة المنكوبة ورغم أنها أنجبت طفلها الثاني.

وانقلبت علاقتهما هذه إلى لقاءات ليلية سمجة من التهور

والخيانة الزوجية باسم اللذة والحب والحرية على حساب إنسانة أخرى ثم تنتهي بانفصال الحبيبين وزواج فوزية من شخص آخر وهذا هو ملخص القصة.

والفكرة التي تهدف إليها هذه القصة تدفعني إلى مناقشة المؤلف في مفهوم الحرية عنده ومفهوم العلاقات العاطفية والتكافؤ الفكري ووظيفة الحياة الزوجية وكيفية تحقيقها.

ومما لا شك فيه أن المرأة الليبية تعيش فعلاً في وضع اجتماعي متخلف وشخصية مريم في القصة تمثل نموذجاً عاماً لهذه المرأة ولكن حقيقة هذه الأزمة ترجع للظروف السيئة التي مرت بها بلادنا وأدت نتائجها إلى مثل هذا الوضع المتخلف وليست المرأة الليبية إلا جزءاً من هذه المأساة وهي ليست بالتالي الإنسانة الغبية التافهة كما يصفها المؤلف ويعمد كثيراً إلى إهدار كرامتها وإنسانيتها ولا يؤمن بأن في الإمكان أبدع مما كان.

إنه مثلاً عندما يتعرض لحياة هذين الزوجين ويصف مقدار اختلاف وجهة نظرهما للحياة يتورط في خطأ جسيم في مفهوم الحياة الزوجية ووظيفتها.

إن سليماً يضع أمام مريم خزانة كبيرة مملوءة بالكتب ويوعدها بمنحها «جنيهاً» كاملاً عن كل كتاب تقرأه ثم يصاب بخيبة أمل كبيرة إنها لم تستطع سوى قراءة إحدى عشرة صفحة من كتاب واحد ثم يحاول أن يناقشها بعد ذلك في السياسة ويقول لها إن العالم على فوهة بركان وإن الحرب على وشك أن تنفجر وأن

فرنسا تحارب المجاهدين في الجزائر لترجع شرفها الذي داسته جنود هتلر وأشياء أخرى غيرها.

ويصاب طبعاً بخيبة أمل مرة أخرى إذ أن مريم لا تعي شيئاً من هذا وتكون النتيجة أنه يثور ويصفها بأنها بلهاء وغبية وتستحيل الحياة معها على هذا النحو.

وأنا أجزم بأن الأبله سليم وليست مريم وأعتقد أنه لا ينفع مطلقاً لأن يكون كاتباً اجتماعياً ما دام يجهل أبسط مبادئ التربية وأن إرشاد المرأة وطريقة تنمية مداركها وتوسيع معلوماتها لا يمكن أن تكون على هذا الشكل لا يمكن أن نعاملها على أنها طفلة صغيرة يسهل «تطميعها» ومريم ليست في حاجة إلى جنيهات أكثر من حاجتها إلى إنسان واعٍ يدرك عمق واجبه ومسؤوليته تجاهها ويوجهها توجيهاً صحيحاً ومباشراً لا أن يتركها تتخبط بين كومة من الكتب التي لا تعلم عنها شيئاً وليست في مستوى أن تستوعبها.

إنها وظيفته كزوج وكمصلح اجتماعي أولاً أن يفهم العلاقة الأصلية للمرأة داخل المجتمع ثم الأخذ بيد هذه الزوجة بطريقة سليمة وواقعية من الاقناع والتجربة والتمرين لا أن يقول لها إقرأى كتاباً تأخذي جنيهاً.

والخطأ الثاني الذي يقع فيه المؤلف أن البطل يريد أن تتخلص زوجته من ثرثرة النساء الفارغة واقناعها بالاهتمام بقضايا العالم وأحداثه السياسية كدليل على مدى تفتح مداركها ولتشارك

معه في الاهتمام بالمشاكل العامة والتي تشغل بال الإنسان وتهدد حياته ومستقبله وهذا الكلام معقول جداً لو كان صادراً عن إلمام بحقيقة واقع المجتمع الليبي وعن ربط لقضية التخلف الاجتماعي والفكري للمرأة بقضية التخلف العام وعن فهم صحيح لطبيعة وظيفة المرأة الاجتماعية داخل المرحلة التطورية التي نعيشها بحيث يصبح من المسلم أن تجمع المرأة بين وظيفتها كعامل فعال في بناء المجتمع الاقتصادي والثقافي وأن نربط استجابتها لقضايا الإنسان المكافح قضيتها بالقضية الوطنية حتى تكون في سائر أرجاء الأرض، واعية ومدركة وإيجابية ومن هنا فقط يمكن أن يشكل إطلاعها على الأحداث السياسية ومشاكل العالم سلاحاً جباراً في يدها للقضاء على الركود والتخلف اللذين تعانيهما.

وهكذا استطاع المؤلف بهذا التزييف الواضح لحقيقة الأزمة للزوجة الليبية أن يمهد لمشكلة أخرى لا تقل خطورة وأهمية وهي مشكلة سد النقص والاستيراد من الخارج وتأييد الزواج من أجنبيات ليبرر الحكم المتعسف الذي يقول إن المراة الليبية غير صالحة للحياة والزواج.

وإذن لا بد من إسعاف عاجل لهذه الحالة الرتيبة التي لا تطاق لا بد من حل وهذا الحل طبعاً ليس بعلاج قضايانا ومحاولة مناقشتها على مستوى جديٍّ هام إنما يأتي هذا العلاج من الخارج وعلى يد سيل المرتزقات الجميلات تماماً كما حدث لسليم الذي يقول إنه أحس بوجوده لأنه وجد حريته وحريته هذه تحققها فتاة

من لبنان اسمها «فوزية» تدخل على الأسرة الهادئة فتحيلها إلى دنيا كريهة وإلى حياة قبيحة تنعدم فيها كل المقومات الأخلاقية والإنسانية وبعد ذلك يقول المؤلف إنها إنسانة مثقفة وفاضلة بل إنها أكثر بنات بلادها فضيلة على الإطلاق.

ويستطيع القارئ للقصة أن يحكم على هذا الزعم من أحداث القصة نفسها ومن المواقف الجنسية المثيرة والمتعددة فيها.

ويستطيع أيضاً أن يحدد مستواها الثقافي مثلاً من خلال رسالتها الأخيرة إلى سليم وهي رسالة إرشادية ساذجة أبعد ما تكون ثقافة وبعد نظر وهي لا تختلف عن رسائل الغرام التي تلطشها الفتيات المراهقات من كتاب «كيف تكتبين إلى حبيبك».

كما أنها لا تختلف أيضاً - عن مستوى مريم خصوصاً وأن المؤلف لا يعطينا أي دليل آخر للحكم على ثقافتها غير هذه الرسالة التي لا تمثل المرأة الواعية التي تنشدها البطلة - بأي حال ولا يمكن أن تكون بالتالي المرأة المنفتحة التي تناقش أحداث العالم وتقرأ الكتب الجادة وتعطي مدلولاً آخر للحياة.

أما من الناحية الأخلاقية فيكفي أن أقول إن كلمة الأخلاق والفضيلة دلالة لا معنى لها عند هذه الفتاة وهذه بداهة تفسرها علاقتها بسليم وأنا لا أريد أن أناقش افتعال دخول هذه الفتاة التي يقول إنها عذراء إلى بيت الزوجية واحتلال إحدى غرفه فبالرغم من أنني لا أقتنع بهذه الأفعال إلا أنني أسلم به افتراضاً غير أن

الأمر الذي لا يمكن قبوله مطلقاً أن تكون الحرية تبريراً للخيانة الزوجية وعذراً لاستغلال زوجة مسكينة بولغ في تشويه حقيقتها ووصفها المؤلف بأحط أنواع الغباء والبلادة.

ومفهوم الحب والحرية في هذه العلاقة شيء كريه حقاً وسليم عندما يقرر أنه أحس بوجوده لأنه وجد حريته مع فوزية إنما هو بكل بساطة غير قادر على تفهم المعنى الحقيقي للحرية وأنه بعد ذلك إنسان مغرور وأناني ووقح وفوزية هي أيضاً فتاة رديئة ووقحة عندما تسمح لنفسها أن تكون نمطاً سخيفاً من الإسهال الجنسي والتردي إلى درجة الانحلال وفقدان الكرامة إذ كيف تسمح لنفسها أن تظل سارقة لذة لمدة أربع سنوات وتندفع وبكل انحلالها إلى شيء حقير لا معنى له هي الأخرى، والأغرب من هذا أن المؤلف يسمي هذه الحالة منتهى الحب ومنتهى الحرية.

وأنا أسأل هنا سؤالاً لا بد منه هو ماذا فعلت فوزية في هذه العلاقة؟ لعلها قرأت مجموعة من الكتب التي تحتلها خزانة سليم وناقشته فيما تحويه من أفكار.

هل ناقشته في قضايا العالم وأدركت ما معنى أن العالم على فوهة بركان؟ والجواب في كلمة واحدة هو لا.

وهذا طبيعي لأنها هي أيضاً لا تعي هذه الأشياء هذه القضية التي كانت تشغل باله قبل أن تدخل بيته هذه الفتاة واكتفى بالقبلات ولقاءات الليل وخيانة زوجته.

ورأيي في هذه القصة أنها لا تصلح لمعالجة قضايانا ولا

تتفق مع أوضاعها الاجتماعية وهي لا تهدف إلا لتعقيد هذه الأوضاع وتمييعها بآراء غريبة لا تنفع للتعامل في مجتمعنا الصغير الذي نحرص جميعاً بإصرار وإخلاص على صيانته ذلك لأن الحرية التي ينادي بها المؤلف من نوع غريب نوع لا يحمل أي مضمون إنساني.

والحب الذي ينادي به المؤلف في هذه القصة هو الحب الرخيص ما دام حالة من الهذيان الجنسي وتوترات شاحبة وبلا مدلول.

وأود أن أشير إلى أن السبب الذي دفعني إلى التعرض لهذه القصة هو أنها تتفق وكثرة الترويج للبضاعة الأجنبية المغشوشة التي تأتينا مع أحمر الشفاء وزجاجات الويسكي.

إنها موضة الزواج من الأجنبيات التي بدأت تغزو بلادنا هذه الأيام.

كلمة أخيرة أقولها صادقاً ومخلصاً هي أنني ما زلت أحترم الزميل سيالة وأحبه أيضاً وما زلت أحب أن يكون أحد رواد الفكر في بلادنا لو أنه تخلص من تأثير بعض الكتب الذي بدأ ينعكس على كتاباته ولو أنه اقتنع معي بأن الحب ليس الإغراق في تمثيل مواقف جنسية محمومة بل إنه الإحساس بروعة الحياة وعظمة الإنسان وهو وحده الذي يعطينا القدرة على خلق علاقة إنسانية بسيطة وأسرة هادئة مع امرأة شريفة وطيبة تعيش وتعمل تحت سماء أرضنا الطيبة.

**الحب للحياة:**

في تراثنا القديم نماذج الأغاني الشعبية التي تعبر عن شتى الانفعالات العاطفية في وجدان آبائنا من الجيل السابق لا تزال تتدفق بأعمق المشاعر والاختلاجات التي عاشها هذا الجيل وتحمل إلينا أدق أسرارهم وشقاوتهم وحكايات الحب التي مروا بها وتجاربهم العنيفة التي عاشوها بكل ما فيها من هزيمة وانتصار وفرح ومرارة.

وما زلنا نطرب لهذه الأغنيات الجميلة التي تمثل انعكاساً لأشواقهم وأحلامهم وتعطشهم للحبيب وعذاباتهم في ذكراه.

وما زلنا أيضاً نخفي ضحكاتنا المتخابثة عنهم يصرخون في وجوهنا ويصفوننا بالطيش ويندون بأن الحب عيب وكلام فارغ لا يليق بالأبناء المهذبين وربما ضربونا إذا لزم الأمر.

فكيف هذا الموقف غير العادل؟

كيف يأخذون على أبنائهم «أخطاء» وقعوا هم فيها؟

لا بد للحكاية من أمر.

والواقع أن العواطف الإنسانية التي تجيش في وجدان الإنسان بمختلف انفعالاتها لا يمكن أن تكف عن النبض ما دامت آخر نقطة دم حارة تجري في عروقه جياشة ونزقة ومندفعة.

وكل الذي تغير هو نظرة الأب للحياة والشعيرات البيضاء الوقورة التي تجلل رأسه واتساع وظيفته وحرصه على الاستفادة

من الوقت الذي يمكن أن يعطي أكثر إنتاجاً وهو عندما يلتزم هذا الموقف إنما يعكس حقيقة تجاربه التي اكتسبها خلال ظروف مجتمعه القديم وقسوة الحياة التي استنفذت كل نشاطه والسنوات الشاقة التي قطعها من أجل العيش الذي لا يترك وقتاً متسعاً لرغبات القلب ونوازعه.

وبالرغم من أنه ربما كان في شبابه يحوم حول فتحة باب منعرج أو نافذة مشبكة ويتلصص النظر إلى ابتسامة رقيقة وعيون دافئة ويغازلها وهو يفتل شاربه الكث ويحمل على كتفه المفتاح الكبير المتدلي بعد أن قفل «مغازته» وبالرغم من الأحاسيس اللذيذة التي عانقت وجدانه في تلك الفترة وعاشها منفعلاً بها وألف فيها الأغاني وربما سكر مرة أو مرتين بالرغم من هذا كله فهو يقف اليوم نصف متأسف على الوقت الذي أضاعه في مثل هذه الأمور التي يعتقد أنها كانت من الممكن أن تكون أكبر فائدة وأقل للكثير من «الأخطاء» بينما يقف الجيل الجديد بكل حرارة الشباب وطفولته وفرحه ليكمل حلقة من حلقات سلسلة الحياة الطويلة بكل الدماء الساخنة التي في أعماقه وليؤلف أغنيته الجميلة ربما أعذب من أغنية الجيل السابق وأكثر تألقاً وأصالة.

والجيل الجديد لا يريد أن يعترف بقضية الوقت إن وقته هو أيضاً ثمين وشبابه خزينة لا تعرف النفاد ونافورة متدفقة من الصحة والتوهج ولذلك سوف لن يأسف على هذا الوقت ما دامت أعماقه صهريجاً من التوقد والنضارة.

وعلى الآباء أن يعترفوا بهذا وأن يتركوا لطبيعة الحياة مجراها وألا يتصدوا للتيار فالشباب أقوى وأعند وأكثر تحدياً من أن يلين للحواجز التي تعرقل نموه وانسيابيته وحرارة الحياة فيه.



# ضرورة الفن لحياتنا

الحفلتان اللتان أحيتهما فرقة الإذاعة الليبية وتحت إشراف وزارة الإذاعة التونسية بالاشتراك مع فرقة الإرشاد «بسينما» «جاردينو» لم تكونا ناجحتين كما أريد لهما بل لقد كانت في مجموعهما وبصفة عامة عاديتين جداً تماماً كسائر الحفلات الساهرة التي حضرناهما في السابق وربما أقل في المستوى بقليل هذه المرة خصوصاً وكلمات التقديم المائعة التي يستعملها «الهادي راشد» ويحاول حشرها بمناسبة وبغير مناسبة.

غير أن الشيء الهام الذي يلفت الانتباه هو جمهورنا هذه الأيادي التي تصفق بحرارة عند الانتهاء من كل أغنية وهذه الحناجر التي تهتف بشوق وتتفاعل بملء كيانها بعبارات الاعجاب والانفعال والتوتر.

حتى الأغاني التي قد لا تصل مستوى الأغنية العادية أغنية نرجس مثلاً التي تقول فيها :

**يا ريت ما حبيتك**

**يا ريتني ما شفتك**

**ولا عرفتني ولا عرفتك**

مثل هذه الأغنية متكلفة جداً في اللحن والكلمات والمضمون وحتى في الأداء نفسه الذي يتحشرج في كثير من الأحيان ويتقطع عند النفس الأخير من غير أن يأخذ الراحة اللازمة للانتهاء التدريجي وهناك أغنيات أخرى لا ترتفع عن هذا المستوى ولكن الجمهور يصفق لها بحرارة ويملأ جو الصالة صفيراً وصخباً ويهتف بالمزيد.

والحقيقة أنه في هذه الحالة لا ينفعل من حيث التمييز بين عنصر الجودة وغيره ولكن لأن الجو الساهر والمرح واللحظات العميقة المفرحة التي يمارسها وجدانه ويتفتح لها بعد أن حرم منها طويلاً وهو يعيش مع نسمات الليل وشفافية الليل ويعانق الوجوه المشرقة التي تلون هذا الليل بالعطر والنشوة والابتسام.

إن هذه اللحظات النادرة في حياة جمهورنا هي الدلالة الحقيقية لجدب حياتنا من الفن وجدب عواطف الإنسان الليبي الذي يرهقه الفراغ ويعذبه الملل والقحط من كل الأشياء السارة من كل اللحظات السعيدة التي تنعش إحساساته وانفعالاته ولذلك فهو يندفع نزقاً يميل مع كل موال ويستجيب لكل آهة ويفتح قلبه ليشرب الخمر الذي حرم منه طويلاً ويحن إلى نغم أي نغم ويتوق إلى الانطلاق والإفضاء بما يجيش في نفسه وليمسح عنها كتل

الأدران والعقد ورواسب الضجر وقائمة الممنوعات الكريهة التي تتشبث بتلابيبة في حنبلية مفرطة.

صحيح أن هناك بعض المواهب المفتحة قد تألقت في كثير من الإبداع مثل سلام قدري من مطربينا الشباب وعُلَيّة العندليب الجميل ورضاء القلعي الفنان المبدع صحيح أن هذا الثلاثي الأنيق كان جديراً بالإعجاب والتقدير ولكن هذا لا يكفي لإنجاح المستوى الفني لهاتين الحفلتين وبالتالي الحكم على أصالة الذوق الرفيع عند جمهورنا المتعطش.

شيء واحد أكثر من غيره كان فعلاً أكثر جدارة بالإعجاب والحب ولم يكن لعنصر الاشتهاء والإثارة دخل فيه وهو مقطوعة رضاء القلعي «جرجيس».

إن رضاء يعبر في هذه القطعة بأصالة عذبة عن معانقة الفن لروح الشعب وتفاعله بما يثير في عواطف الإنسان البسيط من إحساسات حلوة وتعاطف رقيق للأرض والحب والزيتون وما يمثله موسم الخصب في حياته من سعادة واطمئنان.

إن روح الشعب تظهر في هذه المقطوعة بجميع خصائصها من إقبال على الحياة المقبلة وفرح بها وبما فيها من خصوبة ونماء.

واختيار رضاء «للكورس» الذي يعبر بالكلمات عن مضمون هذه المقطوعة هو الذي جاء على مثل هذا الترديد الجماعي كان موفقاً جداً لإبراز القيمة الفنية ولإثراء العمل الحي الذي تؤديه هذه

المجموعة في مجال العطاء الذي تبذله الأرض وإحساس الإنسان بأمومتها الجديدة بالإضافة إلى التوزيع الموسيقي.

«والهرموني» الجميل الذي يبدعه «رضاء» نفسه أثناء مصاحبته للفرقة وتألقه في توزيع الأبعاد الصوتية والجمل التي يتألف منها اللحن وإعطائه دلالته وعمقه.

ولذلك كان الجمهور فناناً لتذوقه هذه القطعة وإعجابه بها ربما لأن فيها تعبيراً عن حياته وربما لأنه وجد فيها إنعكاساً لما في أعماقه من حب وأمل وتفاؤل وفي هذه المرة تجاوب الجمهور مع لحظات مشرقة فعلاً بلا إثارة بلا عطور وبلا تشنجات ممطوطة وكاذبة.

لعل وزارة الإرشاد بعملها هذا إنما تدرك قيمة الفن في حياة الشعوب ومقدار إمكانيته لأن يعكس ما يثيره فيها من أشواق وتفاؤل للحياة الجميلة واللحظات المشرقة التي نحتاجها والتي يحتاجها الإنسان الليبي على الخصوص وبصورة عاجلة وضرورية وملحة.

كما أنه في حاجة إلى إطلاعه على كثير من أنواع الفن الفلكلورية الأخرى واستقدام الفرق الموسيقية لإخصابه بنشوة التلذذ في الحياة التي تعبر عنها هذه الفنون وتلقيح إحساسه بوسائل الفرح والابتهاج حتى يحس بروعة الحياة ويمارس معايشتها من جديد.



# الالتزام والحرية [1]

جميل جداً أن تطرح الصفحة الأدبية من هذه الجريدة الغراء (. . .) قضية من أهم قضايا الأدب العربي المعاصر وهي قضية الالتزام والحرية في الأدب (. . . . . . .) من شباب الأدب في بلادنا (. . . . . . .) القضية الهامة (. . . .) أذهان مثقفي الشرق العربي (. . . .) الأدبية واستمرت مدة طويلة تأخذ صفة الأولوية في اهتماماتهم الفكرية التي ينشغلون بها وفي هذه الأسطر القليلة سأحاول أن أتعرض لهذه القضية نظراً لما لها من أهمية كبيرة تدخل ضمن خصائص الأدب الذي نريده وندعو إليه.

فإذا كان الأدب نتاجاً اجتماعياً وتعبيراً عن دلالات اجتماعية معينة وأن الأديب هو إنسان يعيش في واقع اجتماعي غير منفصل عنه فإن هذا الأدب الذي ينتجه هو بالضرورة انعكاس

---

(1) وجدت في هذا المقال كلمات كثيرة غائمة وبعضها مطموس الأمر الذي أدى إلى تعذر قراءتها ومن ثم وضعت عوضاً عنها نقاطاً بين قوسين إشارة إلى الكلمات الضائعة وهي في مجملها لا تفسد فكرة المقال.

لموقفه من هذا الواقع وارتباطه به وهو يتخذ بالضرورة سلوكاً معيناً يحدد وجهة نظره وطبيعة علاقاته بالمجتمع الذي يعيش فيه.

وعلى هذا الأساس فإن قضية الالتزام في الأدب تصدر عن قضية الأديب نفسه عن موقفه من الحياة وعلاقاته الاجتماعية التي يمثلها، أي أنه أديب ملتزم بالضرورة لموقف معين سواء أدرك ذلك أو لم يدركه.

غير أن السلوك الذي يهمنا من قضية الالتزام هذه هو ما هي نوعية الاتجاه الالتزامي الذي يمثلها والتي يصدر عنها أدبه وما هو الدور الحقيقي الذي يلعبه؟ وما حقيقة هذا الدور بالنسبة للفترة التاريخية التي يجتازها مجتمعنا في مرحلته التطورية الجديدة؟

وإذا أدركنا أهمية الأدب وقيمته الديناميكية في حياة الإنسان وقدرتها على الفاعلية في تطوير المجتمعات الإنسانية والارتقاء بها وتحويلها إلى شكل جديد وفاضل يدرك بالضرورة أهمية الرسالة الإنسانية التي على الأديب أن يؤديها لخدمة المجتمع الإنساني الذي يعيش فيه (. . . . . . .) أيضاً خطورة وحقيقة ما يلتزم هذا الأديب وكيف نفرق على هذا الأساس بين أديب ملتزم التعبير بواسطة رسالة (. . . .) من القضايا الموضوعية الكبيرة التي تهم مواطنيه ومجتمعه ويتخذ منها موقفاً إنسانياً رائعاً وبين أديب آخر نكوصي ينحرف بقضية الإنسان إلى مستويات عائمة من الضباب والتشنج ومحاولة اتخاذ شعارات عقيمة ومتفسخة مثل نظرية الفن للفن أو الأدب العاجي وغيره من العينات الأدبية التي

تجبن عن مواكبة الحياة الصاعدة وتتنكر لحقيقة النظرية العلمية التي تفسر طبيعة الكون والحياة لتلوك كلمات مهترئة (. . . .) إنها تحافظ على صيانة القيم الجمالية في الأدب والفن بأنماط هروبية بالغة في القبح والوهم والادعاء.

ومثل هؤلاء لا يعتبرون مشاغل الإنسان اليومية واهتماماته وكفاحه ضد القوى التي تعوق تطوره والاستعمار الذي يسرق قواه ويستنزفها إلا مشاكل وقتية وليست ذات موضوع وكأن الألم الذي يعيشه هذا الإنسان وكأن حبه ورغباته البسيطة وحقه في أن يعيش حياة جميلة ومبهجة ليس في شيء من القيم الأخلاقية التي يدعون أنهم يحفلون بتوكيدها والحفاظ عليها.

ومن هنا تنبع حقيقة الأزمة لم يلتزم الأديب وما هي الثقافة النظيفة التي عليه أن يتسلح بها من أجل أن يصير التزامه تقدمياً يخدم قضية الإنسان ويعمل على توكيد أهمية القيم الجمالية والفنية التي تنبع من ارتباطها بالقضايا الاجتماعية واتصالها بحياة الجماهير التي تشكل غالبية المجتمع وإثراء حياتهم بالبهجة و(. . . . . . . .) والرخاء.

(. . . . . . . . . . . . . . .) الأديب أهمية النظرة لتفسير ظواهر الحياة والطبيعة (. . . . . . . . .) وقوانينها وأسبابها ومعرفة ضرورة التناقض التي تظهر الواقع وحقيقة دور العلم والمعرفة في فهم هذه الظروف ومحاولة تغييرها (. . . . . .) والدلالات الموضوعية التي تبرز من خلالها.

وإذا كان الأديب الذي يلتزم التعبير عن أدب المآسي والسوداوية (. . . . . .) و(. . . . . . . . . . .) ما يزال يعيش بوجدان مثقل بالضجر والضياع في معاركه الفردية و(. . . . . . . . . . . .) إنما يمثل أزمة الثقافة المتذبذبة (. . . . . . . . . . . . . . . . .) وتعكس أيضاً ما لها من نكوصية وآثاراً خطيرة تعود على المتلقي لمثل هذه الأنماط الأدبية المنحرفة.

ووظيفة الالتزام إذن تنبع من مسؤولية الأديب تجاه مواطنيه وتجاه العالم والحياة ومن مقدار فهمه العميق لهذه الوظيفة وفاعليتها.

وتأتي بعد ذلك قضية الحرية في الأدب وحرية الأديب في التعبير عن مواضيعه وهذه الحرية هي أيضاً التزام في موقف الأديب ومفهومه للحرية الذي يبرز كمظهر من مظاهر هذا الالتزام ومدى اهتمامه بانتقاء مواضيعه وأهميتها في حياة المجتمع.

وإذا استطعنا أن نفرق ما بين مدلول كل من الالتزام الإرادي والالتزام القهري لأدركنا قيمة الحرية وضرورتها لحياة الأديب وعمله الفني.

وفي رأيي أن الأديب الذي يغني كالسكران لنفسه لا يعني بمفهوم الحرية إلا ملهاة لا طائل وراءها ومعنى هذا أن أدبه تجميد للقوى المتفاعلة في المجتمع وهو بهذا إنما يمثل اتجاهاً سلبياً ضاراً ويجب ألا يترك وشأنه بل تجب محاربته وإظهار ما في أعماله من زيف وتخريب وانحطاط ذلك أن الحرية في الأدب

لا تعني شطحات ضيقة من الصراع الفردي المريض وإنما هي ممارسة حية وواعية لحقيقة الدور الذي يؤديه في اختيار المواضيع التي تتمثل في اختيار قطاعات الحياة ومختلف المجالات التي يكمن فيها التناقض.

(.................) لإظهار العمل الفني على نحو غاية في الأهمية وغاية في الشمول ولتوظيف الإمكانيات الهائلة التي تزخر بها المواهب النظيفة في مختلف فروع الأدب والفن.

إن حرية الأديب الواعي الذي يفهم بعمق أهمية وظيفته تضفي على عمله الفني كثيراً من عناصر الصحة والتوهج والإبداع وتعطيه القدرة على العمل في هواء منعش لتنفس رئتيه وتجديد تهوئتهما وهي ليست تلك الوسيلة الترفيهية التي يتخذها سكران يغني في آخر الليل من أجل أن يطرب نفسه ونحن عندما نتركه لنفسه ليقول: «على من يسمع أن يسمع ومن لا يروقه فليمضي إلى حيث يسمع ما يروقه».

نحن عندما نتركه هكذا ونكتفي بأن نسقطه من حسابنا إنما نعمل بكل بساطة على إهدار القيم الأخلاقية لهذه الحرية ونعطي للمجانين حق التصرف بها لو لم نتخذ موقفاً رادعاً من مثل هذا الأديب وفضح ما في أعماله من تفسخ وانحلال.

وبعد (...) فإن المفهوم الجاد للحرية هو كما قلت مظهر ممتاز من مظاهر الموقف الالتزامي الذي يتخذه الأديب في

مواكبته الجادة للحياة ويظهر واضحاً في ماذا يلتزم وأي نوع من الثقافة التي عليه أن يتسلح بها لكي تعطي التزامه حقيقته الإيجابية الواعية.



النص السابع

# خطاب عادي إلى المتنبي: الخواجة محمد إسماعيل

**سيدي المحترم:**

أنا أكتب إليك والعالم الذي نعيش فيه اليوم كما تعلم - وربما هذا سبب فزعك - يمر بأخطر مرحلة يمكن أن يعرفها تاريخ الإنسان فالضربات القوية التي تصفع وجه الاستعمار في الجزائر والكونغو وأنجولا ولاوس وحملات الاستنكار التي يتعرض لها التمييز العنصري في جنوب أفريقيا ثم مشكلة برلين وقضية نزع السلاح وبقية القضايا التحريرية التي يخوضها الإنسان والتي تشغل باله من أجل أن يسود التفاهم عالمنا الجديد ومن أجل أن تعيد الرزانة والتعقل مبدأ للمعاملات بدل التهديد بالقضاء على الجنس البشري والتخاطب بلغة القنابل الهيدروجينية.

أنا أكتب إليك يا سيدي وأنا أعلم بمقدار مرارة الإحساس بأن يصير الإنسان تافهاً ومخيفاً ولا مجدياً وأن يتحول إلى كتلة لزجة من المشاعر المتذبذبة والهوس الهستيري وأعلم أيضاً أن

المرحلة التاريخية التي تسود عالمنا اليوم لا تحتاج إلى شيء قدر حاجتها إلى الحفاظ على القيم الأخلاقية والحضارية وإلى الشجاعة والإيمان بإمكانية الإنسان في أن يواجه مصيره ويطوره ويتخطى عقباته تحت راية العلم واستكشاف الظواهر الطبيعية وحل رموزها وتسخيرها لخدمة الإنسان.

هذه المرحلة يا سيدي الخواجة تحتاج إلى عالم جليل أعطى ضوء عينيه لخدمة العلم وأخص عمره بين صفحات الكتب وفي المعمل والمختبر واستعمل البرجل والمسطرة وانفجرت في وجهه أكثر من سدادة وجرحت جبهته أكثر من مرة ثم قال لنا بعد هذه الرحلة المضنية بكل بساطة وتواضع: سيكون في مقدور المتزوجين منا مثلاً قضاء شهر العسل تحت ظلال الصفصاف في ربوع القمر الممتعة هكذا قال لنا ذلك العالم الجليل ولعل شركات الاحتكار الأمريكية بدأت في إعداد تذاكر السفر بألوان «التكنيكلور» البراقة.

ولعلها بدأت أيضاً في تطبيق مقصورات الدرجة الأولى وركبت لها مكيفات الهواء ووسائل التدفئة اللازمة.

هذه المرحلة يا سيدي الخواجة ربما قد تحتاج إلى جهود مستر «روكفلر» ذلك الرجل الاستعماري العجيب الذي تتحدث عنه الأساطير في تكساس ولكنها بكل تأكيد ليست في حاجة إلى دجالين ومشعوذين ولا حتى إلى أنبياء ذلك لأن نزول الأنبياء قد انتهى كما نعلم وكما تؤكد الكتب المقدسة ومن هنا أستطيع أن

أؤكد أننا لا نهتم كثيراً لنبوءتك الأخيرة التي حملتها إلينا الصحف والتي تنبئ بانتهاء العالم في فبراير المقبل.

لماذا في فبراير بالذات يا خواجة بيجو؟

لماذا في هذا الشهر بالتحديد؟ وهو الشهر الذي يتطلع إليه شعبنا الصغير في ثقة وإعزاز بأن يظهر وجهه الجديد للعالم مشرقاً ومضيئاً بعد مرور عشرات السنين من الظلام والكآبة والاختناق وبعد سنوات مريرة خاضها شعبنا ضد قوى الاستعمار والفاشيستية.

إن معرض طرابلس الدولي سيقام ـ كما تعلم ـ يا سيدي في شهر فبراير المقبل وأن شعبنا الصغير الناهض ليبذل جهوداً كبيرة في إنجاحه والتعريف به وليعتبره حدثاً ضخماً في تاريخنا الاقتصادي والسياسي الحديث بعد أن تدفقت آبار البترول من مدة قريبة جداً في بلادنا بأكثر غزارة وأخصب عطاء من الأمطار التي كنا نعيش عليها عشرات السنين مجتمعة.

فلماذا يوافق تاريخ نبوءتك هذا الشهر بالذات؟

ألا ترى أن هذا مفزع ومثير للسخط؟

ألا ترى أن هذا مرعب لدرجة مخيفة؟

«أوف» إنك مزعج حقاً وثقيل الظل حقاً يا سيدي الخواجة واغفر لي هذا الوصف لأنني بصراحة لا أحب النكات الباردة وخصوصاً إذا كانت من النوع الإنجليزي.

فإذا كان العالم يعيش بأعصاب متوترة هذه الأيام وإذا كان القلق والفزع يسودان شعوب الأرض فمما لا شك فيه أن العمل الجدي تجاه هذه الحالة هو الوقوف في مستوى الأحداث والمشاركة الجدية في حسم مشاكل العالم وليس التهتهات الصوفية الخائرة والتمزق الروحي الكريه أو التنبؤ بدمار العالم وانتهائه كما فعلت أنت وكما فعل أحد الروحانيين من الهنود والسحرة والحواة الذين لا يزالون يملأون أرض الهند.

أنا لست عالماً يا سيدي الخواجة ولكن اغفر لي أن أقول لك وبكل بساطة بأنك لست عالماً أيضاً إنك مشعوذ ليس غير ذلك لأنني أؤمن بالعلم وأؤمن من خلال قراءاتي بأن الإنسان وحده هو الذي صنع العلم والمعرفة وسخرها في سبيل مصالحه واستولى على قوى الطبيعية وحولها إلى ثور كبير طيع يقوده أينما يشاء وبالطريقة التي يحتاجها إليه.

وإن العلم يا سيدي الخواجة رغم ما ينوء به عالمنا من أخطار ورغم ما يسيطر على أعصابه من توتر وقلق لا يمكن أبداً أن يخذل الإنسان كما تعتقد أنت بل على العكس تماماً سيظل العلم والتجربة دائماً أقوى درع لحماية الإنسان من قوى الغيب والعشوائية وحتى ـ من العلماء ـ الذين يتنبأون بنهاية مصير العالم.

واسمح لي أخيراً أن أقول لك إن الحياة مبهجة حقاً وجميلة حقاً وليس من السهل التخلي عنها وخصوصاً لإنسان مثلي ما زال

صغيراً أضع يدي على قلبي في إشفاق وأحس بأن الحياة ساحرة وأنها جديرة بأن تعاش بانفعال وقوة وعمق وإقبال.

إنني لم أتزوج بعد يا سيدي الخواجة ولكنني لا آسف على ذلك ربما لأنني أتخيل أن القمر ممتع حقاً وأن أسبوعاً أقضيه متسكعاً في ربوته هو الآخر أكثر إمتاعاً وأعذب بهجة.

ولذلك نؤخر حكاية زواجي وربما بعد أن يصير في متناول الإنسان قضاء شهر العسل هناك أما إذا ـ صدقت نبوءتك ـ فلا أعتقد أنني سأؤخر شيئاً ذلك لأنه لا يروق لحبيبتي قضاء شهر العسل في الجحيم.

وفي فبراير المقبل أرجو أن تتقبل الدعوة بمشاهدة معرض طرابلس الدولي وربما ستعجب بروعة إعداده وأنا أراهن بأنك ستنفق كل نقودك في شراء منتوجاتنا الوطنية إنها هدايا مبهجة وستقنع بأنها مفاجأة سارة لك ولابنتك الحسناء زوجة الضابط الإنجليزي وإلى اللقاء.



# أنا هنا يا ابن الحلال

مسكينة الفتاة الليبية كل من هبَّ ودب وكل من دب وهب وأمسك بالقلم وتوكل على الرب يكتب عن هذه الفتاة فيتطوع للدفاع عنها ويناقش قضاياها ومشاكلها وكأنه مبعوث من السماء لإنقاذها من الأكشاك التي تعيش فيها.

كلما شكت هذه الفتاة يقال لها في تأسف مسرحي مفتعل «معليش اصبري شوية» وكلما عبرت عن مشاعرها الحائرة وأرادت سبباً معقولاً يبرر قلقها وجمود الحياة التي تعيشها تأتيها الحلول من كل فج على طريقة «يوسف وهبي» في شكل نصائح تافهة لا تزيد إلا في تعقيد المشكلة وتضخيمها تماماً مثلما يجلس الفقهاء تحت جدران المقابر ويكتبون الأحجبة للعجائز بجلب البخت للعوانس ولشفاء المرضى وهذا يشرب «الفيجل» وحليب الناقة الجرباء والثاني يبخر سبع مرات «بالزعتر» وروث الذئب الجائف الثالث حرز «الأندرون» يعني عود في عين الحسود والناوي وما نوى والشفاء على الله.

وفي النهاية طبعاً لا شيء مجرد كلام فارغ مجرد نصيحة غير

مخلصة ومجرد كلمات جوفاء وعبارات تطمين كاذبة وأنا لا أكتب هذا المقال لأحد إنما أكتبه للفتاة الليبية نفسها وهي تدرك أن مشكلتها ما تزال قائمة رغم طول الفقهاء ورغم براعتهم في اختيار المعجزات وتلفيق كلمات السلوان.

أكتب لها وأضعها أمام مسؤوليتها كإنسانة لها إرادة وعقل وكيان وهي المسؤولة وحدها أمام السيل من المنقذين الذين تبعثهم العناية السماوية لإنقاذها ولتفهم بعد ذلك مقدار انعدام عنصر الإخلاص والموضوعية والفهم العميق الذي يبذل في مناقشة قضاياها.

وهذه إحدى العينات من الأحجبة التي تمنح لمنع الحيرة والشعور بالمرارة والدونية التي تعيشها المرأة في بلادنا وهذا الحجاب لا يبخر بالجاوي أو الزعتر هذه المرة ولكنه حجاب من نوع جديد ربما يمزج «بالريف دور» وأحمر الشفاه والحكاية بسيطة.

بعثت إحدى فتيات طرابلس إلى الأستاذة زينب الحكيم المحررة الاجتماعية بجريدة فزان تشكوها من أن كل زميلاتها تزوجن وهي لم تتزوج بعد وليست أقل منهن جمالاً أو مركزاً وأنا أنقل هنا النص ما جاء بتاريخ 20/ 11/ 1961م في رد الأستاذة زينب التي تقول:

«المسألة ليست مسألة جمال أو مركز فقط وحيث هذا ميسر لك فموضوعك قد سهل اعرفي كيف تعرضين مميزاتك فإن

زميلاتك اللاتي سبقنك في الزواج عرفن هذا مثال ذلك إذا ذهبت إلى السوق لتشتري زوج حذاء مثلاً فقد يعجبك في «الفترينة» فتدخلين إلى المحل وتطلبينه وقد تجربينه على قدميك ومع ذلك لا تشترينه وتذهبين لدكان آخر وقد لا ترين فيه ما يعجبك ومع ذلك لا تخرجي من المحل إلا وقد اشتريت الحذاء لماذا؟

الوضع في الحالة الأولى التي أعجبك فيها الحذاء في «الفترينة» ثم لم تشترينه معنى هذا أن البائع لم يكن من المهارة بالدرجة المغرية أو المرغبة لك بشرائه ولم يعرضه عليك بالشكل الذي يشجعك على اختياره.

حال أن البائع الذي عرض عليك الحذاء في المرة الثانية «أي حذاء» قد عرف كيف يعرضه عليك بأن حمله أمامك بشكل أنيق ولمعه في تواضع بأن لمس به كم بدلته فحملك كل هذا إلى شرائه والانتفاع به.

افهمي أن لفظاً بسيطاً تقولينه في رقة مناسبة موفقة تنم عن جوهرك الثمين الذي يبحث عنه الكثيرون فتخيري الأوساط التي توجدين فيها وتحيني الفرص لإيضاح شخصيتك بدون اندفاع وراء فكرة الحرص على الزواج ولا تظني أنها الفرصة الوحيدة التي قد تقابلك ولا بد من أن تنالي فيها رغبتك والفرص كثيرة فلا تخافي.

هذه هي النصيحة التي تقدمها الأستاذة زينب الحكيم لهذه الفتاة.

والواقع أنها نصيحة مغرية فعلاً ولا تتطلب إلى مجهود وعلى أساس فإن كل من تريد الزواج أن تبحث لها عن «فترينة» تعرض فيها بضاعتها ولا تنسى أن يكون لها نصيب من المهارة وتدبير الرأس والحكاية بعد ذلك في غاية البساطة «إيه يعني فراشية» بيضاء شفافة يبين منها الفستان الأخضر الذي يضيق على الخصر وكعب عالي لماع من «باتا» ومشية «تيب تاب» من طراز «مارلين مونرو» أو هند رستم ثم كلمة غزل بريئة وأنا هنا يا ابن الحلال ويتم بعدها كل شيء على ما يرام عرس وزمزامات وفي نهاية مرحباً «يا مرات خوي حلوة دي».

«يا سلام يا بنات على البخت اللي يكسر الحديد».

«يا سلام على الدنيا قداش ما زالت حلوة».

أراهن أن «سيدي كريم» يعجز عن وصف مثل هذا الحجاب.

وأراهن أن الدولة ستصدر قانوناً لحماية أولاد الحلال أمثالي من مضايقات الجنس الحلو.

هذه أفكار «يوك» يا أستاذة زينب أعني أنها أفكار تركية «ما تمشيش» عندنا ذلك لأن الفتاة الليبية كما تعلمين تعيش حياتها «بلا فترينات» حياة كلها مساء جمعة أعني أن «الفترينات» مقفلة بقرار من البلدية «والفترينة» الوحيدة التي تعرض بضاعتها فيها هي البيت ذو الجدران الأربعة وشبابيك عين الزرزور البيت وحده هو البعد الحقيقي الذي تتزوج عن طريقه الفتاة وهي «فترينة» قديمة

جداً وينقصها الكثير من وسائل الإعلان والدعاية ولا يقصدها إلا العجائز كما تعلمين وهن غالباً ما يكن مشتريات مفلسات أو غبيات لا يخترن «الكنادر» الجيدة ولكن يتورطن في «الشلاليك العفاسي».

ومن هنا تنبع المشكلة يا أستاذة زينب مشكلة وضع المرأة بصفة عامة داخل الإطار الاجتماعي الذي تعيشه مشكلة موقف المرأة نفسها من القرار البلدي الذي صدر لقفل «فتريناتها» وإحالة حياتهم أيام كئيبة وموحشة تماماً مثل مساء كل يوم جمعة في مدينة طرابلس المشكلة أنها «رئة معطلة» كما يصفها بلغة الأدباء فريد سيالة وما تزال تتحكم فيها اعتبارات اجتماعية غاية في التأخر والانحطاط ووضع المرأة داخل هذه الاعتبارات لا شيء فقط كيان مسكين يحتاج إلى أكثر من عملية ترميم كاملة وإصلاحات وإنارة وأعمال كثيرة ترهق المقاولين خصوصاً بعد ارتفاع سعر الجنيه في بورصة المهور بصعود 250 مرة.

والنصيحة التي تقدمها الأستاذة زينب هنا هي أن تكون الفتاة من المهارة والبراعة لاجتذاب الأنظار إليها ولو بطريقة احتيال أنيقة والحكاية أن الفتاة لم تسأل كيف تتزوج ولم تطلب شبكة لاصطياد أولاد الحلال ذلك لأن أولاد الحلال «كملو» وما عادوا يميلون إلى أعمال المقاولة وهي نفسها تدرك جيداً هذه المسألة إنما كان تساؤلها إنها تشكو لماذا لم تتزوج بعد بينما كل زميلاتها تزوجن؟

والواقع أن هناك آلافاً أخرى مثل هذه الفتاة ما زالت تحطم أعصابهن الحيرة والمرارة والخوف من المصير الغامض الذي ينتظرهن فانعدام مبدأ حرية الاختيار وانصراف أغلب الشباب عن فكرة الزواج بالطريقة «العمياني» ثم إخضاع تحديد المهور إلى أذواق الأمهات فضلاً عن اعتبارات أخرى لا تقل عنها سخافة كل هذه الأشياء تكون عاملاً يبعث على الخوف والحيرة والشعور بعدم الاطمئنان في وجدان الفتاة ونفسيتها وتصبغه بالمرارة والشيئية والانهزام.

هذه هي القضية يا أستاذة زينب وعلى الذين يتطوعون لمناقشة المرأة في بلادنا أن يفهموا كيف يردون على هذا السؤال وأن يكونوا على جانب من الوعي بالظروف الموضوعية وفهم الواقع الاجتماعي الذي تعيشه هذه المرأة من غير «كنادر» ملمعة بكم بدلة ومن غير مشية «تيب تاب» ذلك لأنها كما قلت طريقة «يوك» ما تمشيش عندنا».



## النص التاسع

# أحاديث عابرة

قرأت مقال الأخ «أحمد إبراهيم الفقيه» تحت باب كل يوم بعنوان «الوجه الآخر» وأنا من المعجبين بكتابات أحمد تحت هذا الباب وهو يبذل مجهوداً واضحاً في إعدادها كما نرى، ولكن لم تعجبني الطريقة التي كتب بها مقال الوجه الآخر بل كتبه بطريقة أغاظتني جداً.

إنه يتكلم عن المجرم الذي قتل خمس من النساء ببلدة «زليطن» بدافع الحب وأنه أحب فتاة ثم قتلها مع أربع نساء من أهله وأهل هذه الفتاة بطلقات نارية من مسدسه ثم يتساءل أليس الحب هو العاطفة النبيلة هنا؟ إن المجرم عندما ارتكب جريمته لم تكن لأنه أحب فقتل ولأنه أحب فبذلك أصبح قاتلاً.

إن الجريمة كانت دفاعاً ضد الحيلولة دون المجرم وهذا الحب وأن المجتمع هو الذي أفقده قيمة الإحساس بالعاطفة النبيلة التي يتكلم عنها أحمد والتي عاشها فعلاً الجاني قبل الجريمة رقراقة وصافية كجدول غدير من الماء ثم انتزعت منه هكذا بدون رحمة وبحكم أوضاع اجتماعية جائرة فاستحال هذا

الإنسان بسبب هذا الحرمان من محب طيب إلى مجرم خطير.

إن أحمد بكل أسف لم يدرك الأوضاع الاجتماعية التي عاصرت هذا الإنسان والتي أحالته إلى مجرم رهيب ولم يحاول أن يبحث عن مضمون الوقائع المادية التي تلخص الحادثة وتكشف عن أسبابها والدوافع التي أدت إلى ارتكاب الجريمة إنه مثل القاضي الذي يجلس على منصة القضاء ويصدر أحكامه دون أن تهمه كثيراً ظروف المجرم ودون محاولة إيجاد التبرير المنطقي لارتكاب الجريمة.

إنني لا أدافع عن الإجرام ولا أستسيغه ولكنني أحاول بطريقة منطقية أن أجد الدوافع التي أدت إلى هذا الإجرام.

فإذا كان الحب هو العاطفة النبيلة التي ترمز إلى كل خير وجمال كما يقول فما رأيك في موقف إنسان يحرم هذه العاطفة لأسباب اجتماعية قاهرة.

وبالرغم من أنني لا أستطيع قتل دجاجة في الوقت الحاضر ولكنني أؤكد بأنني على استعداد كامل لأن أقتل جميع سكان العالم إذا ما أحالوا بيني وبين حبيبتي التي أحبها والتي أدين لها بحياتي وسأكون أيها الأخ في ظروف مريرة وتحت ضغط نفسي لا يهتم بالنتائج وربما على استعداد أن أستحيل إلى وحش كاسر يهدم كل شيء.

إن عاطفة الحب تدافع عن نفسها عندئذ وتتحول إلى قوى طاغية ومدمرة ذلك لأن المجتمع يحول مجراها إلى تيار عكسي.

إن الذي دفع هذا الإنسان إلى القتل والجريمة هو الدفاع عن الحب وبقصد الإبقاء على المشاعر النبيلة والعاطفة الرائعة في أعماقه وفي هذا المجتمع يستحيل الحب والإحساس به إلى مشكلة إلى أزمة وإلى إنسان قاتل مجرم لا يتورع تحت الظروف القاهرة أن يرتكب أبشع الجرائم وذلك لأن هذا المجتمع لا يعترف بالحب ولا يحميه وفي اعتقادي أن النسوة الأربع القتيلات كن طرفاً في المشكلة وربما كن يمثلن قسوة المجتمع في حرمانه من هذا الحب والتفيء بظلاله وتذوق حلاوته والإحساس بالمشاعر النبيلة التي يتكلم عنها أحمد في براعة يحسد عليها والتي لا تعدو أن تكون كلاماً رومانطيقياً خالصاً يسبح في عالم «اللازورديات المسحور».

ولكم بودي أن يتوخى الأخ أحمد في كتابته الصدق والدقة والانضباط السلمي والتركيز في كتابته ذلك لأن قضية هذا الإنسان المنحرف هي نفسها قضية الإنسان الذي يعيش هذا المجتمع وأن المشكلة لتزداد حدة عند الإنسان السلبي الذي يمصمص شفتيه عندما تحصل له نفس المشكلة ويتقوقع على نفسه مترسباً في أعماقه الحقد والكراهية والضغينة وأنا أعتقد أن هذا الإنسان أكثر إيجابية أو أنه استطاع أن يكون في مستوى الأحداث بطريقته هو وبإمكانياته هو ولتذهب النتائج إلى الجحيم وذلك لا يهتم بالنتائج ولا يلقي إليها اعتباراً طالما أنه حرم من حبه زد على ذلك أنه إنسان الخامسة والخمسين من العمر يعني كهلاً ولم يتبق له من حياته سوى سنوات قليلة فالحياة عنده بهذا الشكل لا تساوي شيئاً

بدون حبيب يملأ عليه حياته ويؤكدها ويدفئها ويحيلها إلى شباب وقوة من جديد أن حياته تصبح كهلة وعجوز شمطاء وليست جديرة بأن تعاش إذا لم تحتضنها فتاة صغيرة امرأة في عمر الزهر لتحيلها إلى قوة وإمكانية تتجدد كل يوم.

والقضية أيها الأخ ـ ليست قضية محرر في جريدة يود التخلص من مقاله ليدفع به إلى المطبعة ولكنها قضية إنسان «حبوب» وطيب حولته الظروف والقوى الاجتماعية إلى مجرم قاس وكريه هكذا بكل بساطة وهو إلى جانب ذلك إنسان عادي لم تشقه هموم المعرفة وليس على قدر من الأخلاق والقيم.

إن المعايير الأخلاقية والقيم التي تعارف عليها المجتمع لتنهار جميعها أمامه عندما يحرم من حبيبته الجميلة يكفي أن يحرم من حبه يكفي ذلك أنه إذا ما أخذنا في الاعتبار تعطش هذا الإنسان إلى الحب وخصوصاً في سن هو أحوج إليه من أي إنسان آخر.

إن الخامسة والخمسين أيها الأخ ـ أحمد زمن الشيخوخة وأنت لم تعرفه بعد ولكنه «الوجه الآخر» على حد تعبيرك إنها انطفاء العمر وجدبه وهي فضلاً عن ذلك الباعث على أن يشعر بأحاسيس حزينة تعكس احتجاجاً صارخاً على الحياة وعلى زوالها هكذا بكل بساطة وبكل قسوة أن الحب ـ أيها الأخ ـ في هذه السنوات بالذات عملية ديناميكية كما نقول تجدد العمر وتضيع عليه ثياب الصحة والتوهج والعافية ومن ذلك يأتي حكمك مبتسراً

وعقيماً وعاجزاً أن يأتي بتفسير منطقي لارتكاب المجرم فعلته.

اعذرني ـ أيها الأخ الفاضل ـ في انفعالي ذلك لأن الإنسان من حقه أن يحب حتى ولو كان في الخامسة والخمسين وأن يقتل الفتاة التي أحبها أيضاً لأنها هي الأخرى استحالت إلى قوة شريرة في نظره تمثل المجتمع وقسوته بعدما كانت أملاً ملأ عليه حياته ثم انطفأ وخبا.

أنا لا يهمني «رجب حسين الهومي» وهذا اسمه فسيلقى جزاءه والعدالة كفيلة بأن تقوم بهذا الدور.

ولكن الذي أود أن أقوله إنه ليس هناك شيء اسمه الوجه الآخر في الإنسان ولكن الوجه الآخر يا أحمد هو انعكاس للزيف الاجتماعي وهو التركيب الاجتماعي المتخلخل في مجتمع متخلف وهو أيضاً التراكمات والترسبات التي لم تجد لها متنفساً وبذلك تظهر على شكل «آخر» حاقد وكريه ومظلم أمام الإنسان البسيط أما الإنسان الخالي من التعقيد ومركبات النقص والقهر فهو إنسان طيب حنون يمثل خيار الإنسانية وأصالتها وأنني أكره أن يوصف الإنسان بالإجرام دون دراسة واقعه الاجتماعي ودون إبداء الأسباب والمبررات التي أدت إلى إجرامه.

إن هذه الفتاة لم تعد حبيبته وبذلك فلتذهب هي الأخرى إلى الجحيم.

والقضية لم تعد رغبته معانقة هذه الفتاة ولكن القضية هي العاطفة والتوهج والمشاعر الصافية التي أحس بها في أعماقه

وعايشها زمناً ثم خبت ثم تهدمت فجأة.

لماذا لأن هناك نسوة أغرين فتاته باتخاذ موقف ضده ونكرانها عليه إذن هذه هي القضية ومن هنا تنمرت الأنانية البشرية الأنانية المتأصلة في أعماق الإنسان المدافعة عن حب الذات وحب البقاء.

ماذا تهم النتائج إذن؟

وماذا يهم أن نعيش في السجن أو نموت طالما نحن بعيدين عن أحبائنا أحبائنا الذين كنا نحس ذات يوم أن الشمس تشرق من أجلهم وأن الصباحات الجديد تحتضن وجوههم الجميلة في حب وشوق لتؤكد لنا أن الحياة رائعة ويجب أن نعيشها ونفرح بعمرنا خلالها.

وللأخ أحمد تحياتي وحبي.



# عندما انحنى السور

أسرتنا أصبحت كبيرة هذه الأيام والمواليد تزداد باضطراد والعائلة تتسع وتكبر بهذه المواليد التي تفد علينا كل مرة وقلوبنا تكبر أيضاً وتتسع أيضاً لتستقبل أبناءنا سليمي البنية والممتلئين قوة وصحة وتوهجاً.

آخر الآباء كان كامل المقهور بمجموعته الجديدة الرائعة.

إن 14 قصة من مدينتي استطاع أن يعطينا كامل من خلالها دليلاً كبيراً على إمكانية الفنان الليبي ومقدرته الخلاقة لبناء تراث فني أدبي لثقافتنا الليبية المتطورة وهو أحد المكاسب التي حققناها في مجال الإبداع الفني لحصاداتنا الفكرية.

والشرائح الحية التي يقتطعها كامل من واقعنا الاجتماعي ليقدمها لنا في تجارب عميقة تزخم بالإبداع والتألق إنما هي دلالة عن فهم موضوعي لمضمون الواقعية وحقيقة الصراع الإنساني وعمله الدائب من أجل حياته وحبه وكفاحه الرائع المستميت وحقيقة أخرى هي أن الإنسان هذا المخلوق الجبار والرائع لا

يمكن أن يستسلم هكذا بدون أن يناضل ولا يمكن أن ينهزم بدون أن يستبسل.

إن قيمة العرق والمعاناة من أجل أن يعيش الإنسان لتبدو غالية وثمينة من خلال التعب الإنسان الذي تحتضنه هذه المجموعة وتبرزه في إطار فني بعيد عن التقعر والافتعال ومن هنا تأخذ هذه المجموعة طريقها في درب ثقافتنا لتشير لنا على فنان متمكن من أدواته ووسائله وكاتب يحمل في أعماقه مفهوم الفن الحقيقي والموضوعية الحقيقية عندما نتناول تناقضات الحياة والواقع الذي نعيشه وعندما نحاول أن نكتب عن هذه التناقضات وحقيقة الدور الطليعي الذي يمكن أن يؤديه الكاتب لينير الطريق للإنسان في دأبه الصاعد المستمر.

وفي هذه السياحة القصيرة لمحاولة إلقاء بعض الأضواء على هذه المجموعة نلتقي نحن أبناء محلة كامل وجهاً لوجه من جديد مع طفولتنا القاسية والجميلة معاً ومع حياتنا القديمة وما صاحبها من تجارب حزينة ومريرة ومفرحة أيضاً في بعض الأحيان.

وتتميز الشخصيات التي اختارها كامل لقصصه بأنها نماذج حية متفاعلة وهي ليست أنماطاً مسطحة أو ذهنية يحركها المؤلف بقصد تمثيل آرائه وإنما هي نماذج للإنسان الحقيقي الذي يضطرب ويتحرك في الواقع المعاشي ويتصرف وفقاً للحدود الفكرية والسلوكية التي تتميز بها شخصيته.

وهي تتميز كذلك بأنها تمثل فئات الجماهير العريضة التي يزخر بها مجتمعنا وما ينعكس على حياتهم من فقر وعوز ونضال مرير في سبيل العيش والحياة.

إنهم من أجل ذلك يناضلون حتى في أسوأ ظروفهم الاجتماعية حيث البطالة تهددهم حتى في آخر حلقة وحيث الموت يترصد لهم كل دقيقة كما في «الخائفون». لا وقت عندهم للمشاعر الرومانطكية والسرحان الميتافيزيقي إنما هم في عمل دائب ومنتج يتصرفون بإيجابية خلاقة حتى في أحلك المواقف التي يتعرضون لها بالرغم من قصور إمكانياتهم وضعفها كما في «السبب».

إن الإنسان في هذه المجموعة نمط متمرد صبور واثق من قدرته على أن يصنع شيئاً وهو بسيط يحمل هم الدنيا على عاتقه بشجاعة وصبر فائقين معتمداً على إمكانياته هو وقدرته دون اللجوء إلى التواكل والقدريات وهو إلى جانب ذلك لا تمزقه هموم الفلسفة ولا تشقيه عذابات المعرفة إنما هو إنسان من الشعب البسيط الطيب.

وإذا كانت القصة القصيرة تعتمد في أساسها على اختيار اللحظة كبؤرة إشعاع للأحداث فإن كامل عندما يختار هذه اللحظة لا يقف عندها بل يشتتها في مجموعة من الأبعاد الزمنية الأخرى تتفاعل على الأحداث لتعمقها وتطورها بحيث تعكس مجموعة من الخواطر المتباينة وبحيث لا يضر هذا التشتيت بالوحدة العضوية

لللحظة نفسها بل يبلورها في نسيج متشابك ينبع من توترها الزمني الأول. فقصة الطريق مثلاً وهي أولى قصص المجموعة تعكس هذه الخاصية بطريقة فذة.

آلاف الخواطر تتوارد على أذهان ركاب سيارة «البولمان» الأربعين المسافرة من طرابلس إلى بنغازي وهمهماتهم وشخيرهم كلها تكون مجموعة عجيبة من المشاعر والأفكار المتباينة المشتتة والطريق يطول والأرض معبدة هي الأخرى بآلاف الخواطر والوجوه وسائق السيارة تبدأ من سؤال الطفل الصغير الجالس وراءه عن موعد وصولهم وهذه اللحظة تعود بالسائق إلى الوراء ابنه «عليوة» المريض وهو يحتاج إلى العلاج ويحتاج للذهاب به إلى المستشفى وبالرغم من أنه لا يستطيع ذلك بسبب العمل الدائب ولكن كامل استطاع أن يبرز صورة عليوة الممتد على الفراش (. . . . . .) في مخيلة هذا الأب المكافح والقلق في زوايا الحجرة الضيقة انعكاساً لاستدارة الطريق الممتد على الجانبين قلقاً يهدد بالموت والفزع والمخاطر وحيث يمتد الطريق كذلك الموت أمامه مزعجاً كريهاً يهدد حياة «عليوة».

الطريق هنا رمز للموت والمشقة وقسوة الحياة حتى عندما يبرزه كامل انعكاساً لامتداد الطابور أمام المستشفى إنما يرمز إلى الموت وصعوبة العلاج.

والقصة تعمر بهذه اللحظات الحية وتتشابك عدة مرات في نسيج حي ليشكل الارتباط الزمني المتكثف في إحساسه بمرض

ابنه. ولم يكن الطفل الصغير إلا تجسيداً لإحساس الأبوة الذي يجيش في قلب السائق وهو يقول له: «قعمز بحداي يا ولدي تعال ونسني».

والقضية الأخرى التي تثيرها هذه القصة على جانب كبير من الأهمية وهي فداحة الإحساس بتشتيت البلد الواحد وبعد الشقة بين أجزائه والغربة وتباين الطرق الحياتية التي يعيشها كل جزء.

«بوخة» قصة الإنسان الضائع الملقى على الرصيف وقد فقد كل ما يمكن أن يربطه بإنسانيته فقد عنصر الزمن والمكان والأقل معاً. وارتمى هكذا مجرد إنسان بلا قيمة ملقى على الرصيف حتى عندما أحس بنفسه وتلمس وجوده أوقعه المؤلف في حلقة أخرى من الضياع وفقدانه القدرة على تحديد أي طريق يسلك.

«إن الأربع عرصات» التي اختارها كامل امتداداً لانطلاق أحداث القصة إنما هو اختيار موفق وتعبير عن الموقف المتبلبل والغير محدد الذي يمثله هذا الإنسان المأزوم حتى العمل حتى الجهد الإنساني المهدر أمام بوابة الميناء ثم العمل بداخله والكدمات الزرقاء والثياب المتسخة والحذاء المثقوب كل هذه الجهود الضخمة تذهب عبثاً هي الأخرى ولا تساوي شيئاً سوى عشرين قرشاً تعمل هي الأخرى في تعميق المشكلة وتفتح في دماغه ثقباً هائلاً من التفكير في هموم الحياة ومطالبها وفي النهاية كل شيء عبث ولا يساوي غير كوب آخر من «البوخة».

لقد أعجبت جداً باللقطات البارعة التي قدمها كامل في تصويره لأحيائنا الشعبية وأجواء الحانات الرخيصة التي يرتادها أمثال بطل هذه القصة.

وقصة «الكرة» شريحة جميلة اقتطعها كامل من واقعنا عن حياة الأطفال وشقاوتهم ومشاجراتهم المحببة.

وهي تصوير بارع لنفسية الطفل «عبد الله» وقد سلط عليه المؤلف أحداثاً من الخارج وهي علاقات أمه المشينة بحيث انعكست هذه الأحداث على حياة «عبد الله» إن ابن الحاج يقول عن أمه أشياء مخجلة تجرح قلبه الصغير الصامت. وهذه النفسية الصغيرة المثقلة بالألم والدموع نحس معها بحزن عميق محفور في وجدان هذا الطفل استطاع كامل أن يبرزه في هذه القصة المنفعلة.

وقصة «الخائفون» تمثل الفزع والسكون والدمار وتعكس حياة الجماهير في بلادنا عندما كانت تتعرض لأهوال الحروب وفظاعتها وقد أعجبتني الطريقة التي عبر بها كامل عن موضوعه وكيفية تناوله ورسم الشخصيات الخائفة الفزعة في جو مشحون بالموت والدمار.

إن قضية الحرب وأهوالها وما تجره من ويلات ومحن هي عند كامل بكل بساطة مسألة حياة طفل صغير يموت مقطع الأشلاء مهشم الرأس يملأ التراب عينيه الصغيرتين ونصف جسمه تغطيه الأنقاض والحرب في هذه القصة ترمز إلى البشاعة التي تتآمر على

حياة الأطفال ونضارتهم وانتزاع البسمات الجميلة من أفواههم وملئها بالتراب ورائحة البارود واللقطة الموحية في هذه القصة أن الأب عامل في الميناء الذي كان يحمل القنابل على كتفيه والذي كان يحفر المخابئ للناس القادرين على الدفع بعد انتهاء عمله في الميناء هو نفسه الذي تعرض لدمار هذه القنابل أنه تماماً كما قال له معمر زميله في الميناء: «عزرائيل على كتفيك يا علي يمكن القنبلة تطيح على حوشك» وهو أيضاً الإنسان الذي يحفر المخابئ ولم يجد مخبأ يحمي حياة ابنه من الموت.

لقد كان يؤمن أن الحياة قاسية والصغير رمز الحياة والتجدد يحتاج إلى الكثير ومن أجل ذلك كان يعمل ليل نهار لابتسامته المشرقة ولمداعباته الصغيرة ولمستقبل شبابه وأيامه.

ولكن الطفل يموت هكذا بكل قسوة مقطع الأشلاء والتراب يملأ عينيه ونصف جسمه تغطيه الأنقاض والسكون رمز الخراب والخواء يسيطر على حياة الجميع إنه دائماً هذا السكون.

وقصة السيد بالرغم من أنها ترمز للقوة الغاشمة التي يمثلها الاستعمار لنهب مقدرات الشعوب وبالرغم من أن لفظة «التنتي» تعني لنا أبناء هذا البلد ذكريات مريرة بالرغم من ذلك فقد عكسها كامل في قضية صغيرة تمس حياة مزارع من بلادنا مباشرة إن الاستيلاء على أراضينا واحتلال بلادنا تعني كلها عند هذا المزارع الاستيلاء على «سانيته» هو بالذات وبالتالي الاستيلاء على حياته هو وحياة أبنائه وأنه لا يفهم معنى للاستعمار ولا مسببه ولكنه

عرفه من أصوات «البارزان» وأحذية الجنود التي تفسد حقول برسيمه وفجله والعساكر الذين أخذوا بقرته وبقروا بطنها التي صكت ثم همدت.

والقضية أصبحت بالنسبة إليه أن هذا العلم المثلث الألوان الذي يحيل حياته في خطر تجب مقاومته وعليه أن يقوم بعمل شيء ضد هؤلاء السارقين وعليه أيضاً أن ينتقم لبقرته وسانيته حتى حين أمسك بالمحشة وغرسها في عنق الملازم وهو يصك ويخور ويخرج لسانه من بين أسنانه تماماً كما فعلوا ببقرته. وهذا هو التبرير المنطقي للمقاومة أن نحس حياتنا في خطر دون اللجوء إلى الخطب الحماسية الجوفاء ودون داع إلى استعمال معايير غائمة.

وقصة السور تعجبني جداً ربما لأنها تثير قضية تمس حياتنا جميعاً أو ربما لاستكمال عناصرها الفنية والموضوعية وربما لأنها أكثر من هذا وذاك فهي قضية الإنسان والحياة في مجالها الشامل الرحيب. ومن ثم أنحني لهذه القصة الرائعة تماماً كما انحنى السور الكبير بجنوده وأضوائه أمام هذا الجزء الحبيب من أرضنا الشجاعة الطيبة.

وكلمة «خلاص» التي تبدأ بها القصة تثير في نفسي العديد من المشاعر والأشجان. إن اختيار المؤلف لهذه الكلمة إنما هو اختيار موفق جداً إن كلمة «خلاص» تعني الكثير. إنها قضية «العزومات» وقضية «الفلوس» التي هي «زي» التراب وقضية الأرض الحزينة الذابلة وحقول الطماطم والبصل والفجل والزيتون

التي يبست وحشتها «التراكتورات» وعبدها القطران. إن هناك أفكاراً كثيرة تلح عليه أن يبيع أرضه عدم الإمكانيات الفنية وقلة الأدوات ووسائل الإنتاج وهو لا يملك المال الكافي لتوفيرها ثم جيرانه الذين باعوا وقبضوها لماعة جديدة وشريط أبيض «. . . .»[1] من الوسط.

ورغماً عن هذا الإغراء المتزايد فإن هناك أيضاً ذكريات وأشياء حبيبة تربطه بأرضه والده الذي عاش طوال حياته في زراعتها وامرأته الزينة المكافحة ثم ابنه مسعود ومحشته الصغيرة ونخلته وحظيرة الأرانب التي أقامها وسط هذا الحقل كل هذه العناصر تقف حائلاً دون البيع دون اقتطاع عمر كامل وحياة كاملة بها ذكريات محببة لآمالهم التي حلموا بتحقيقها والتي حرموا منها أيضاً.

وهكذا انحنى السور من الأسمنت المسلح بأنواره الساطعة والجند من ورائه بأسلحتهم انحنى في انهزام أمام قطعة الأرض الصغيرة الرائعة. ويسلط كامل الأضواء في قصة «الميلاد» على تقاليد مجتمعنا ورسم لنا صورة طريفة عن عاداتنا الزوجية ثم يثير قضية الزوجة التي يسقط جنينها قبل نموه بسبب خلل أو ضعف في تركيبها «الفسيولوجي» وتأخذ الرغبة في إنجاب الأطفال في نفسية بطل القصة تزداد حدة وإلحاحاً كلما قربت زوجته من الانتهاء من أيام حملها ومن خلال الأحداث التي تخللت هذه القصة نلمس

---

(1) كلمة غير واضحة.

مدى المعاناة التي يعيشها هذا الزوج وهذا الصراع الذي يشكل حبه للأطفال من جهة ومن حبه لزنوبة زوجته من جهة أخرى وهي الإنسانة التي يمسكها في قلبه إنسانة عزيزة عليه.

وبالرغم من سلبية الطريقة التي عولج بها موضوع إنجاب زنوبة والاعتماد على الوسائل البدائية كالأحجبة والفقهاء فإن الموقف الذي ختم به هذه القصة كان غاية في الإيجابية والنبل.

وتبقى عدة قصص في هذه المجموعة تحتاج إلى تقييم وهو أمر يطول بنا على أننا نوجزها فيما يلي محاولين إبراز الخصائص الحساسة التي تتميز بها والقضايا نثيرها وهي:

- القضايا العالمية وما ينشأ عنها من صراع بين العمال وأصحاب العمل وقضية البطالة التي تهدد الطبقة العاملة كما في آخر حلقة.

- المقاومة الشعبية التي كانت تشنها بلادنا ضد الغزو الإيطالي وصمود هذه المقاومة والفاعلية والتجاوب الذي كانت تلاقيه جماهيرنا الشعبية حتى الذين أقعدهم الخوف عن القيام بدورهم كما في عاشور هذا البطل اللا مرئي والرمز الرائع لهذه المقاومة صورة حية عن الشخصية الليبية ذات الجبهة السمراء الباسلة والعيون التي تقدح بالشجاعة والصلابة والإقدام.

- القيمة الإنسانية التي يضيفها العمل على الإنسان ومدى ارتباطها بالحب وروعة هذا الحب الفعال من أجل إثراء الحياة وتألقها بعرق الإنسان المكافح.

إن قصة الصندوق الأخضر تعكس ببراعة هذا الحب وما تعنيه شخصية سالم عند هذه الأسرة المحرومة والقصة تقول لنا : إن العمل والتعب في سبيل أن تكون الحياة مجدية ولها غاية هو العنصر الجدير بالحب والاهتمام.

إن بدلة سالم التي تأخذ مكانها داخل الصندوق الأخضر بقفله ذي الجرس القديم هي الرمز لهذا الحب وهذا الاهتمام ولم يكن محمود الأخ ليحظى بهذا الاهتمام إلا عندما تخلى عن التزوير وأصبح إنساناً يأخذ مكان أخيه على المركب داخل البحر ليعيل هذه الأسرة.

ومن هنا أصبح هو الآخر له قيمة وجدير بالحب حب أمه العجوز.

- وتأتي بعد ذلك قضية ارتباط الإنسان ببلده بوطنه بالأرض التي تربى فيها قصة الحنين لهذه الأرض والأشواق والاهتمام بأبنائها الذين عاش معهم هذا الإنسان بسيطاً مثلهم وهو يحتضنهم في قلبه وهو يحملهم ملء عينيه قوى تتوهج بالإرادة والحيوية والتحفز وهو يؤمن أن الإنسان محال أن يكبو ومستحيل أن ينهزم ولا بد له أن يشق طريقه لتأدية دوره في الحياة.

إن قصة الممر المظلم وثيقة فنية وإمكانية ضخمة لتطور كامل «التكنيكي» في مجال القصة القصيرة.

إن فرانسواز التي تحمل لهذا الإنسان الليبي الذي تعشعش

أجواء الحريم في أعماقه (.....)[1] الحصول الجنسي وسهولة التمتع بأجواء باريس وحريتها وهو مشغول عنها بخطاب.

وكم ود ألا تأتي هذه الباريسية لأنه يعيش بقلبه وأعصابه وبكل وجدانه مع أبناء بلاده ويتتبع وينتظر الخطاب الذي يقطر أسلوبه بالإرهاب والخوف.

وبعد: فإن هذه المجموعة التي يقدمها كامل لنا إنما هي كما قلت دليل على إمكانية الفنان الليبي ومقدراته الخلاقة لبناء تراث أدبي وفني لثقافتنا الليبية المتطورة ويكفي أن يقول عنها الناقد المصري الكبير الأستاذ محمود أمين العالم بأنها تحتل مكانة الطلائع في القصة العربية المعاصرة.

تحية لكامل على هذا الجهد وللأخ القصير الأصلع إعجابي وحبي.



(1) كلمة غير واضحة.

# المنتمي(*)

## دراسة في أدب نجيب محفوظ

الأستاذ غالي شكري من أنضج شبان النقد في مصر وتتسم مقالاته النقدية التي كان يكتبها على صفحات مختلف المجلات في الشرق العربي تتسم هذه المقالات بالموضوعية والبحث الجدي وتظهر فيها خصائص المعاناة وعمقها وزخمها على السواء.

ومن مؤلفاته: سلامة موسى وأزمة الضمير العربي ودراسة نقدية عن أزمة الجنس في القصة العربية ثم أعقبها بكتابين: المنتمي وكلمات من الجزيرة المهجورة.

والمنتمي دراسة رائعة عن أدب الروائي الكبير الأستاذ نجيب محفوظ وهذا الكتاب يحدد مفهوم الأستاذ غالي شكري ورأيه في أدب نجيب محفوظ وسوف أحاول أن أستعرض وأن

---

(*) نشرت هذه المقالة بمجلة الرواد العدد 11/ 1966 السنة الثانية ص5 وما بعدها.

أُلقي بعض الأضواء على هذا الرأي مبتدئاً بالفصل الأول من الكتاب وهو «جيل المأساة» ذلك الجيل الذي تمثله شخصية كمال عبد الجواد في ثلاثية نجيب محفوظ «بين القصرين وقصر الشوق والسكرية» هذه الثلاثية التي تعكس من خلال هذه الشخصية أزمة الجيل المصري الذي عاصر أحداث ما قبل الحرب العالمية الأولى عبر الثلاثينيات من القرن العشرين وتعكس أيضاً مأساة الحرية على المستوى الفكري والسياسي والاجتماعي.

ويستعرض المؤلف نشأة كمال عبد الجواد التي كانت تتأرجح بين التقاليد الشرقية والتربية وبين الإحساس الرومانسي الذي يعيشه خياله الغض وموقفه بالنسبة للدين والجنس والبطولة والاستعمار وغيرها من المواقف هذه النشأة هي التي تعكس جوهر الأزمة وأبعاد المأساة التي عاشها جيله وكيف كانت هذه الشخصية الفنية تعبيراً نموذجياً عن أزمة نجيب محفوظ نفسه.

وسيخلص المؤلف خلال تحليله العميق للمساحة الزمنية لأحداث هذه الثلاثية إلى أزمة الانتماء للمثقف العربي هذا الانتماء الذي جاء نتيجة انهيار القيم السائد في المجتمع المصري آنذاك وما عاصرها من الفوارق الطبقية وإهدار لكرامته الإنسانية والإحساس بالتخلف الحضاري المرير والبحث عن حل لأزمة الحرية وكذلك الإحساس الحاد بين انشطار الشخصية وتمزقها وبين القهر الاجتماعي الذي تعيشه.

والمنتمي العربي وسط هذا الجو المأساوي الذي يصخب

بالمهانة والدونية مأزوم تماماً فهو لا يستطيع أن يقدم حلاً حاسماً لمشكلته فهو أولًا متذبذب بين الانتماء إلى اليمين أو إلى اليسار وفي أعماقه إحساس قاهر ملئ بالتناقضات والشك واللا جدوى من كل شيء وهو ثانياً يعاني مجموعة هائلة من الصراعات حيث يعشش الإحساس بالشك والقلق والانهزام وحيث تنعدم الحرية وتستحيل الحياة إلى جحيم كريه لا يطاق.

هذا المنتمي الذي فتح عينيه على منجزات الحضارة الأوروبية وتفتح وجدانه على الاتجاهات الفكرية والفلسفية والاجتماعية التي وفدت إليه من الغرب عن طريق رواد الأدب والطلائع الثقافية في الوطن العربي أمثال: طه حسين والعقاد وسلامة موسى وغيرهم هذا المنتمي تقبل عقلياً ووجدانياً هذه التيارات ولكنه وقف منها عند عتبات الانبهار العقلي فقط ولم يستطع أن يحرك خطواته إلى السلوك العملي ذلك أنها لم تكن لتصل بعد في تفاعلها بالواقع الحضاري في مصر آنذاك ولم تكن في استطاعتها أن تحفر في ضمائر المثقفين أخاديد مماثلة لتلك التي شقت لنفسها سبلاً عميقة في وجدان الإنسان الغربي وضميره ومن هنا تكمن الأزمة في حياة جيل كمال عبد الجواد إنها أزمة أول خطوة في درب الحياة إنها الحيرة القاتلة والشك المرير ومن هنا أيضاً تكمن أزمة الانقسام الحاد في الشخصية الانتمائية بين التخلف والتقدم بين الفوارق الطبقية الهائلة وبين مطلب الحرية للجميع.

ولقد استعان الأستاذ غالي شكري لتحديد مفهوم المنتمي

العربي واللا منتمي الغربي بثلاثية الفيلسوف الوجودي الكبير «جان بول سارتر» لأوروبا الحرية حين قارن بين النموذجين كمال عبد الجواد عند نجيب محفوظ وماثيو عند سارتر واستخلص أن أزمة الحرية عند كل منها هي أن الحرية عند المنتمي العربي في أزمة وجود أي يكافح من أجل الحصول على الحرية ولو بقدر أدنى منها بعكس اللا منتمي الغربي الذي يهدف إلى حماية هذه الحرية وإلى صيانة مكاسبه من الحرية وهو يقف من الحياة كشيء تتساوى إزاءه الحقيقة واللا حقيقة وخلفه تراث حضاري ضخم عموده الفقري تقديس حرية الفرد على المستوى الفكري ومجموعة هائلة من التقاليد الديمقراطية على المستوى السياسي ومجموعة مماثلة من القيم الحضارية على المستوى الاجتماعي فما أن تتخلل هذا التراث نغمه نشاز كالفاشية والنازية مثلاً حتى يكون رد الفعل العنيف لدى ابن هذا التراث هو تذويب الذات والحرية في مزيج واحد يرفض كافة القيم القادمة من الخارج ومن ثم يتحول الإحساس بالكون إلى عالم قيم ووجود بلا معنى وحياة بلا جدوى ولعل الغرب المعاصر يعي جيداً أن التاريخ لم يعرف عدواً للحرية والديمقراطية كما عرف عن النازية والفاشية.

إن اللا منتمي كما يقول «كولن ولسن»: هذا الإنسان الذي يدرك ما تنهض عليه الحياة الإنسانية من أساس واه ويشعر بأن الاضطراب والفوضى به هما أعمق تجذراً من النظام الذي يؤمن به قومه وقد استيقظ على الفوضى ولم يجد شيئاً يدعو إلى الاعتقاد بأن الفوضى إيجابية بالنسبة للحياة.

إن مشكلة اللا منتمي الأوروبي هي في أساسها مشكلة الحرية في معناها الفلسفي العميق وهو الذي يواجه أبشع الحقائق وأقساها تلك هي مرض الإنسانية المعاصر وهو الوحيد الذي يدرك بأنه مريض في حضارة لا تعلم أنها مريضة.

وذلك على النقيض من كمال عبد الجواد في ثلاثية نجيب محفوظ الذي يرفض القيم القديمة ليستبد لها بقيم أخرى جديدة وأكثر جدوى ومتساوقة مع الحياة الجديدة بواقع مرير متخلف وبدون حرية فتهتز المرئيات أمام عينيه ويلفه الضباب من كل جانب فلا يجد مناصاً من التوقف عن المسير في حالة عجز تام عن التغير المطلوب.

ولما كان هذا التغيير وهو الوسيلة الوحيدة أمام كمال للحصول على حريته في تحقيق ذاته ووجوده لذلك كان الانتماء قدراً لا مفر منه أمامه وأمام الجيل بأكمله ومن ذلك يتأزم الوجدان بالحيرة والشك والغليان بدون توقف ويحدث الانقسام في الشخصية بين المنطق العقلي المتفتح على ثقافات حديثة تريد أن تطور الحياة وبين السلوك العملي الذي تكبله قيود الواقع الاجتماعي وجموده وتخلفه.

ولقد كان طبيعياً أن يتأثر الجيل الجديد بالحلول والأيديولوجيات السائدة في العالم آنذاك ولقد كانت الدراسات لمشكلات العالم ولظواهر الحياة وما صاحبها من إيجاد نتائج باهرة عن حقائق الكون وخفايا النفس البشرية.

كل هذه النتائج أثرت بشكل خطير في نظرة الإنسان الجديد في العالم بصفة عامة ووجدت مناخاً طيباً أذهان المفكرين والمثقفين العرب على وجه الخصوص ذلك أن المجتمع العربي كان أحوج من غيره إلى هذه الثقافات العلمية وكان لفترة غير بعيدة يسوده طوفان من السكون الغيبي الذي ران على حياته وعطل الكثير من المواهب ووقف في سبيل تحرير العقول وتنميتها.

فدراسة تطور الحياة عند «دارون» والدراسات النفسية واكتشاف علم النفس «لفرويد» والبحوث الفلسفية والنظريات العلمية لكثير من عباقرة العالم العظام كانت هذه الأفكار الجديدة وهذه الفتوحات العلمية الرائعة أول ما تعنى بشؤون الحياة والإنسان وتعمل على تطوره وتحريره من الوهم وكانت تهدف إلى إيجاد الحلول الحاسمة لمشكلاته مع نفسه وصراعاته مع الطبيعة وأسرار الكون.

وكان لا بد أن يتأثر رواد الفكر العربي بهذا الانفتاح العلمي والفكري الذي طرأ على أذهان المفكرين في الغرب وكان لا بد لهؤلاء الرواد أن يؤثروا في مجتمعهم بحصيلاتهم الثقافية الجديدة.

وكان هؤلاء الرواد هم: طه حسين والعقاد وسلامة موسى والمازني وغيرهم من المفكرين الذين حملوا مشعل الثقافة والفكر والأدب والفن للجيل الجديد وعملوا على إضاءة الطريق للشباب المتعطش للمعرفة والحرية والحياة.

وعلى الرغم من تشوق الجيل الجديد لهذه الثقافة وعلى الرغم من إقبالهم الشديد عليها لمحاولة النهل من عبابها وعلى الرغم من أنها تمثل شيئاً جديداً للغاية وذا فاعلية بالغة الأهمية.

بالرغم من هذا كله فإن هذه الثقافة بقيت تمثل شيئاً مستورداً من الخارج إذ أن هذا الجيل لم يكن ليتمثلها تمثل الخالق لها والمبدع لما تنطوي عليه من فاعلية وجدية ولم يكن ليخبر هذه الأفكار ذلك لأنه عاش في ظروف يغلب عليها طابع التخلف والزيف ولأنه عاش كذلك في حضارة بتراء وعقيمة ومن هنا تولد في ضمائر الجيل الجديد الإحساس بالتمزق والرفض والانبهار.

وابتدأت مواقفه تفتقر إلى التحديد والوعي ولقد كان هذا الجيل الممزق محكوماً عليه بالعذاب ذلك بأنه ولد مرتبطاً بمصير مجتمعه وشعبه وحضارته.

وعندما نعود مرة أخرى لنستعرض طفولة وشباب كمال عبد الجواد كما رسمها نجيب محفوظ في «بين القصرين» و«قصر الشوق» نرى أن كمالاً كان يعيش طفولة قاسية وذلك لما يمثله له أبوه من سلطة هذا الأب الذي يراه كمال يتربع على عرشه في مهابة وإجلال ترك في وجدانه الصغير صورة لا تمحى عن الألوهية التي كان يتصورها في هذا الأب بالإضافة إلى بذور أخرى غرست في تكوين كمال الطفل أخذت تنمو وتترعرع في شبابه وأخذت تنمو في صنع مأساته.

فالمواقف الأساسية البارزة في جبين هذه المأساة تظهر

جذورها في مواقف صغيرة رافقت طفولة كمال موقفه من الدين والزواج والجنس والحب واللاحرية بالإضافة إلى الرهافة والجموح في خياله الرومانسي هذا الخيال الذي تشبع بمناخ يجمع في طبيعته تناقضاً هائلاً بين التقليدية في ظل الإقطاع والعلاقات الاجتماعية الجديدة التي أصبحت تأخذ وجودها في ظل المجتمع المتكون الجديد.

فهذا الأب كما يقول المؤلف كان يمثل سطوة القيم المستبدة كما يمثل في نفس الوقت تحلل هذه القيم وفسادها من الداخل.

أما في «قصر الشوق» الجزء الثاني من الثلاثية فهناك «عايدة شداد» حبيبته الوجه الثاني للمأساة هذه الحبيبة التي تمثل القيم البرجوازية بكل ما تشتمل عليه من تناقضات.

فهو عنوان الحرية والثقافة والرقي كما أنها عنوان السطحية وتبادل المنفعة. فكانت بين القصرين تجسيماً للفوضى والبلبلة التي شكلت أزمة كمال فيما بعد خاصة إذا كان عاهل بين القصرين قد تجسد هذا التناقض الحاد في شخصيته الواحدة فهو رجل «بار» نهاراً ورجل ملذات بالليل.

وقصر الشوق كما يقول المؤلف وكما أراد لها نجيب محفوظ: هي انعكاس لعلاقة الحب بين كمال عبد الجواد وعايدة شداد بكل مرارة الفشل والخيبة فيها وبكل تناقضاتها وحدتها وهي تعكس أيضاً الفوارق الطبقية وانهيار العلاقات الاجتماعية الملطخة بالعار والكذب والخداع والكراهية.

فالأب الذي كان يمثل قمة الألوهية وقمة الرجولة والمهابة عند كمال نهاراً هو نفسه الأب الماجن المهرج الذي يقضي لياليه في مجالس الساقطات.

وعايدة الحبيبة ذات التعليم الفرنسي وذات الرقة والأناقة عايدة هذه التي كان بجسمها خياله المرهف المحموم مثالاً للحبيبة المعبودة هي نفسها الفتاة الارستقراطية المتعجرفة التي ترفض دعوة حبه وقد خلفت في وجدانه آثاراً لا تمحى من العذاب والألم والشعور بالخيبة والمرارة والفشل.

وقد كان الاستبداد الأبوي في الأسرة والطغيان العاطفي في الحب هما نتاج المطلقات الرومانسية في حياة المراهق والممزقة بين القيم الإقطاعية والعلاقات الاجتماعية الجديدة.

وكانت مأساة الحب هي المقدمة التمهيدية لمأساة القيم المنهارة كما يقول المؤلف ومن خلال هذا الجو المشحون بالحقد والأنانية والانهيار خرج كمال يحمل في ذاته عذاب الانشطار النفسي بين الحلم والواقع بين ما هو كائن في مجتمعه المريض وبين ما يجب أن يكون عليه هذا المجتمع.

لقد خرج من هذا الجو وعلى كتفه صليبه صليب الانقسام.

ويقول الأستاذ غالي شكري: إن الشك في حياة كمال عبد الجواد هو المحور الذي تدور حوله أحداث الجزء الأخير من الثلاثية وهو الوليد الشرعي الأول لنقطة التحول التاريخية في حياة كمال وهو ربيب الانشطار الحاد في شخصيته وجاءت السكرية

تجسيداً موضوعياً لهذا الانقسام فإذا كان الشك يغرس في أعماقه بذور الإحساس بالعبث واللا جدوى فإن الواقع يفرض عليه الانتماء إلى الحياة بأن يضفي عليها معنى جديداً.

وهذا الانتماء يفرض عليه بدوره هو الآخر صراعاً لا يكل صراعاً قاسياً من العذاب والتمرّد والغليان.

ومن هنا يكتشف المؤلف أن أحمد شوكت الشخصية الأولى في السكرية هو في الحقيقة الوجه الآخر لكمال عبد الجواد هو الحلم والأمنية وهو الامتداد المثالي الذي يرجوه وهو كذلك التحقيق الرائع للسلوك العملي الذي ظل يعذب كمال خلال جميع مراحل الجزءين من الثلاثية وظل يرمي به في هوة القلق والاندحار وظل يمزق وجدانه الملتاع والحائر إلى الأبد.

ويقرر المؤلف مرة أخرى أن هذه الشخصية المنقسمة على نفسها تجسد أول بطولة تراجيدية في الرواية المصرية.

والحقيقة أن هذا الاكتشاف غاية في الذكاء والفهم العميق لثلاثية نجيب محفوظ وما ترمز إليه هذه الثلاثية بالنسبة لأزمة الانتماء وأزمة الحرية التي تمثل أزمة الجيل بأكمله خلال الثلاثينيات من هذا القرن.

بقي شيء واحد وهو أن شخصية كمال عبد الجواد الفنية هي نفسها التمثيل الواقعي لشخصية نجيب محفوظ نفسه كما يقول الأستاذ غالي شكري وقد استطاع المؤلف أن يعطينا أكثر من دليل على صحة هذا الرأي وذلك بالنسبة لموقف الأستاذ نجيب

الشخصي من الزواج والثقافة والمقالات الفلسفية والعلمية التي كان يكتبها على صفحات الجرائد فيما قبل ثم التقائه بسلامة موسى وانتمائه لحزب الوفد المصري.

إن كمال عبد الجواد هو الشخصية الرامزة لجيل المأساة الذي عاصره نجيب محفوظ الذي فتح عينيه على التخلف الحضاري والقيم الإقطاعية والعلاقات الاجتماعية المنهارة خلال الثلاثينيات من هذا القرن.

- يتبع[1] -.

---

(1) هذا مقال أخير كتبه الشاعر: علي الرقيعي قبل وفاته وكان يزمع تكملته كما أشار في ذيل المقال «يتبع» ولكن الموت حال دون ذلك واختطفه قبل إكماله مع مشروعات وأحلام عريضة تبخرت في لحظة.

# تخريج النصوص

## أولاً: الشعر

| رقم النص | مصدره | الصفحة | التاريخ |
|---|---|---|---|
| الأول | جريدة طرابلس الغرب | ص: 3 | 20/ 1/ 1954م |
| الثاني | جريدة طرابلس الغرب | ص: 4 | 24/ 1/ 1954م |
| الثالث | جريدة طرابلس الغرب | ص: 3 و4 | 14/ 5/ 1957م |
| الرابع | جريدة طرابلس الغرب | ص: 3 | 15/ 11/ 1957م |
| الخامس | جريدة طرابلس الغرب | ص: 4 | 06/ 12/ 1957م |
| السادس | جريدة طرابلس الغرب | ص: 4 | 13/ 12/ 1957م |
| السابع | جريدة طرابلس الغرب | ص: 2 | 17/ 2/ 1957م |
| الثامن | جريدة طرابلس الغرب | ص: 3 | 15/ 1/ 1958م |
| التاسع | جريدة طرابلس الغرب | ص: 2 | 03/ 2/ 1959م |
| العاشر | مجلد صوت المربي | ص: 11 | حوالي 1966م |
| الحادي عشر | مجلة صوت المربي | ص: 17و18 | |
| الثاني عشر | مجلة صوت المربي | ص: 19 | |

## ثانياً: النثر

| رقم النص | مصدره | الصفحة | التاريخ |
|---|---|---|---|
| الأول | طرابلس الغرب | ص: 4 | 04/ 11/ 1954م |
| الثاني | طرابلس الغرب | ص: 3 | 08/ 1/ 1954م |
| الثالث | طرابلس الغرب | ص: 6 | 07/ 6/ 1961م |
| الرابع | طرابلس الغرب | ص: 6 | 28/ 6/ 1961م |
| الخامس | طرابلس الغرب | ص: 6 | 19/ 7/ 1961م |
| السادس | طرابلس الغرب | ص: 6 | 26/ 7/ 1961م |
| السابع | طرابلس الغرب | ص: 6 | 15/ 11/ 1961م |
| الثامن | طرابلس الغرب | ص: 6 | 29/ 11/ 1961م |
| التاسع | طرابلس الغرب | ص: 6، 3 | 26/ 9/ 1965م |
| العاشر | طرابلس الغرب | ص: 6 | 13/ 10/ 1965م |
| الحادي عشر | مجلة الرواد | ص: 5 وما بعدها | 1966م |

# المحتويات

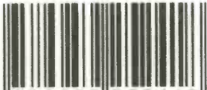
## ثانياً: النثر




# علي الرقيعي

(1934 م - 1966 م)

- وُلد الشاعر علي محمد علي الرقيعي في مدينة طرابلس سنة 1934 م بالظهرة شارع دنون.
- اضطر تحت وطأة الحاجة إلى هجر مقاعد الدراسة قبل إتمام المرحلة الثانوية حيث التحق بعدة وظائف صغيرة منها العمل في وزارة الصحة آنذاك بقسم الحسابات.
- انكب على القراءة وتثقيف نفسه بشغف كبير ساعده على شحذ موهبته المبكرة.
- أسهم في الحياة الثقافية في تلك الفترة بنادي الشباب الليبي والكتابة في جريدة طرابلس الغرب ومجلة هنا طرابلس الغرب وصوت المربي وإعداد برنامج للإذاعة بعنوان: «همسات الليل».
- شارك الشاعر في النشاط الرياضي باللعب مع فريقي: الطليعة والأهل بطرابلس ويقال إنه فقد السمع في إحدى أذنيه نتيجة ضربة كرة.
- توفيت والدة الشاعر المسماة: فاطمة رحومة المشري وهي من زليتن عام 1946 م بوباء الجدري وبذلك فقد حنان الأمومة وهو لم يزل طفلاً في الثانية عشرة من عمره.
- صدر للشاعر ديوانان هما: الحنين الظامئ وأشواق صغيرة.
- توفي الشاعر إثر حادث مفجع فقد ارتطمت سيارته نوع «فيات صغيرة 600» بشجرة في طريق الفرناج قرب أمانة الزراعة حالياً صباح 23/11/1966 م ودفن بمقبرة سيدي بوكر بطرابلس.
- ما زال والده: محمد علي الرقيعي على قيد الحياة وهو يبلغ من العمر حوالي تسعين عاماً ويسكن في البيت نفسه الذي بناه الشاعر بفشلوم زنقة «أبو ذينة».

ISBN 978-9959-25-241-8




تنفيذ
الشركة الخضراء للطباعة والنشر